بسم الله الرحمن الرحيم

الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الاخوة منتوري قسنطينة1

كلية الآداب و اللّغات

قسم اللّغة والأدب العربي

دروس وتطبيقات في مادّة علم الدّلالة

إعداد الدّكتور: مبروك صيشي

البريد الالكتروني: sichirachid@gmail.com

الأستاذ: مبروك صيشي	**مادّة:** علم الدّلالة	**المستوى:** السّنة الثّانية ليسانس
تخصّص: الدّراسات اللّغويّة	**نوع الدّروس:** تطبيق	**المجموعة:** 04 **الفوج:** 14

السّنة الجامعيّة: 2020 / 2021

مفردات مادّة علم الدّلالة للسّنة الثّانية ليسانس . السّداسي الثّالث

01	مدخل إلى علم الدّلالة (اصطلاحاً وتاريخاً)
02	الدّلالة عند العلماء العرب1: النّحّاة، اللّغويون، علماء الأصول
03	الدّلالة عند العلماء العرب2: الفلاسفة، المتكلّمون، البلاغيون
04	أنواع الدّلالة: المعجميّة، الصّوتيّة، الصّرفيّة
05	أنواع الدّلالة: النّحويّة، السّياقيّة، دلالة المقام
06	التّغيّر الدّلالي ومظاهره
07	العلاقات الدّلاليّة1: علاقة اللّفظ بالمعنى، الاشتمال
08	العلاقات الدّلاليّة2: التّرادف، الاشتراك، التّضاد
09	نظريّة الحقول الدّلاليّة
10	نظريّات التّحليل الدّلالي1: النّظريّة التّحليليّة
11	نظريّات التّحليل الدّلالي2: النّظريّة الوظيفيّة
12	نظريّات التّحليل الدّلالي3: النّظريّة السّياقيّة
13	نظريّات التّحليل الدّلالي4: النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة
14	علم الدّلالة وعلاقته بالعلوم الأخرى

قائمة بأهمّ المراجع:

إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ.

أحمد المتوكّل، التّركيبيات الوظيفيّة قضايا ومقاربات.

أحمد المتوكّل، المنحى الوظيفي في الفكر اللّغوي العربي الأصول والامتداد.

أحمد محمد قدور، مصنّفات اللّحن والتّثقيف اللّغوي حتّى القرن العاشر الهجري.

أحمد مختار عمر، البحث اللّغوي عند الهنود.

أحمد مختار عمر، علم الدّلالة.

أحمد مختار عمر، نظريّة الحقول الدّلاليّة واستخداماتها المعجميّة.

أف. آر. بالمر، علم الدّلالة، تر: مجيد عبد الحميد الماشطة.

بيار غيرو، علم الدّلالة، تر: انطون أبو زيد.

تراسك ر.ل، أساسيات اللّغة، تر: رانيا إبراهيم يوسف.

الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد (أبو هلال العسكري)، الفروق في اللّغة.

خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللّسانيات.

ر.جاكندوف ون.تشومسكي ور.فندلر، دلالة اللّغة وتصميمها.
ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللّغة، تر: كمال بشر.
شاكر سالم، مدخل إلى علم الدَّلالة.
عادل فاخوري، اللّسانيات التّوليديّة والتّحويليّة.
عبد الرحمان الحاج صالح، الخطاب والتّخاطب في نظريّة الوضع والاستعمال العربيّة.
عبد السّلام المسدّي، العربيّة والإعراب.
عبد القادر الفاسي الفهري، البناء الموازي، نظريّة في بناء الكلمة وبناء الجملة.
عبد القادر الفاسي الفهري، اللّسانيات واللّغة العربيّة نماذج تركيبيّة ودلاليّة.
عبد القادر الفاسي الفهري، المقارنة والتّخطيط في البحث اللّساني العربي.
فايز الدَّاية، الجوانب الدَّلالية في نقد الشِّعر.
فايز الدَّاية، علم الدَّلالة العربي.
فردينان دي سوسير، علم اللّغة العام، تر: يوئيل يوسف عزيز ومالك يوسف المطلبي
كلود جرمان وريمون لوبلون، علم الدّلالة، تر: نور الهدى لوشن.
محمّد محمّد يونس علي، مقدّمة في علمي الدّلالة والتّخاطب.
نعوم تشومسكي، آفاق جديدة في دراسة اللّغة والذّهن.
نعوم تشومسكي، البنى النّحويّة، تر: يؤيل يوسف عزيز.

قائمة المواضيع المقترحة كعروض يعدّها ويقدّمها الطّالب:

	الموضوع	اسم الطّالب
01	ـ مدخل إلى علم الدّلالة (اصطلاحاً وتاريخاً)	
02	ـ الدّلالة عند النّحّاة واللّغويين	بن زاوية سلمى + تبون أسماء
03	ـ الدّلالة عند علماء الأصول	وادي حواء + زكري آية
04	ـ الدّلالة عند الفلاسفة والمتكلّمين	بولمرقة شيماء + بوفوس مارية
05	ـ الدّلالة عند البلاغيّين	ميلودي جيهان +سليماني حزيرة
06	ـ الدّلالة: المعجميّة	
07	ـ الدّلالة: الصّوتيّة	
08	ـ الدّلالة: الصّرفيّة	قدادرة هيام + حيمور شيماء
09	ـ الدّلالة: النّحويّة	توفوتي ريمة + ...
10	ـ الدّلالة: السّياقيّة والمقاميّة	
11	ـ أسباب التّغيّر الدّلالي	فيلالي ريم + قوميدي حبيبة
12	ـ مظاهر التّغيّر الدّلالي	
13	ـ علاقة اللّفظ بالمعنى	بوثلجة أكرم + بوزحزح لقمان
14	ـ الاشتمال الدّلالي	
15	ـ التّرادف الدّلالي	بلوط مريم + بن صالح عفاف
16	ـ الاشتراك الدّلالي	
17	ـ التّضاد الدّلالي	طويوي زينب +شرقي أحلام
18	ـ نظريّة الحقول الدّلاليّة	
19	ـ نظريّات التّحليل الدّلالي1: النّظريّة التّحليليّة	
20	ـ نظريّات التّحليل الدّلالي2: النّظريّة الوظيفيّة	
21	ـ نظريّات التّحليل الدّلالي3: النّظريّة السّياقيّة	
22	ـ نظريّات التّحليل الدّلالي4: النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة	

ـ يُطلب من كلّ طالبين اختيار أحد المواضيع، ثمّ إعداد بحث فيه، مع ضرورة التّقيّد بالضّوابط العلميّة (التّنظيم، الجانب النّظري، النّماذج التّطبيقيّة، الأمانة، التّهميش، المراجع...).

ـ لا يقبل أكثر من طالبين في الموضوع الواحد، ولا يمكن تكرار عنوان البحث (الموضوع).

ـ الطلبة غير المدرجين في الجدول أعلاه، عليهم اختيار أحد المواضيع، وإعلامي بذلك في البريد الإلكتروني الموجود في الصّفحة الأولى (صفحة الغلاف).

ـ احضار البحوث تامة يكون في الموجة الثّانية بإذن الله.

تمهيد:

تطوّرت التّنظيرات اللّسانيّة في أوروبا مع بدايات القرن العشرين، وخصوصاً من حيث الجوانب الفكريّة والمنهجيّة، فمع الدّعوة إلى ضرورة الاهتمام بالدّراسة الآنيّة للّغة، قبل تتبّع التّطوّرات الزّمانيّة أو مُقارنة اللّغات ببعض، برزت أيضاً فكرة اعتبار أنَّ اللّغة نظام له بنية متكاملة، وجب دراسة عناصرها المُختلفة (صوت، صرف، تركيب، دلالة) على أساس أنّها جزء من هذا النّظام، لا تنفصل عنه.

و ليست اللُّغة في الواقع، وأهمُّ غاياتها تأمين التَّواصل والاتِّصال، ليست إلاَّ علاقة بين صورة صوتيَّة (ألفاظ) وصورة مفهومية (معان)، يتمُّ الرَّبط بينهما ذهنياً، فسواءً نشأت اللُّغة ابتداءً في صورتها المُكتملة أو كانت قفزة نوعيَّة في طرائق الاستدلال والتَّواصل فهي تعتمد على ربط العلاقة بين الدَّال والمدلول.

و من هنا كان الاهتمام بالدَّلالة، وعلم الدَّلالة غاية عند الأصوليين والمناطقة واللُّغويّين (طبعاً) و علماء النَّفس ... إلخ. فكان لهذا العلم علاقة بكُلِّ هذه العلوم (الإنسانيَّة)، بل إنَّ للدَّلالة علاقة بكلِّ أنواع المعرفة و في شتَّى مجالات الحياة.

وقد كان لتطوّر البحوث اللّسانيّة في نهايات القرن التّاسع عشر وبدايات القرن العشرين، أثره الظّاهر على علم الدَّلالة، الّذي شهد بدوره نمواً كبيراً في التّنظير والتّطبيق، ليرفع إلى مستوى العلميّة والموضوعيّة.

فما هي حدود هذا العلم؟

وكيف تطوّر تاريخياً؟

وما صلته بالعلوم المُجاورة القريبة منه؟

الدّرس الأوّل: مدخل إلى علم الدّلالة (اصطلاحاً وتاريخاً)

أوّلاً: علم الدّلالة اصطلاحاً

قبل البدء في التّعريف بأهمّ قضايا ومبادئ هذا العلم، لزم أوّلاً تحديد مفهومه وتاريخه، وموضوعه، ومن ثمّ ضبط حدود كل منها. فلفظة "علم الدّلالة"، بفتح الدّال أو خفضها، هي عبارة عن مركّب إضافي، يتكوّن من كلمتين: (علم، الدّلالة).

1 ـ العلم لغة واصطلاحاً:

مصدر من الفعل (علم)، جاء في لسان العرب، أنّ: «من صفات الله عز وجل العليم والعالم والعلام (...) ولا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء سبحانه وتعالى، أحاط علمه بجميع الأشياء باطنها وظاهرها دقيقها وجليلها على أتم الإمكان»[1]، ومنه فعلم تعني عدم الخفاء والإحاطة التّامّة بالأشياء من الظّاهر والباطن.

لذا نجد في معجم اللّغة العربيّة المعاصرة أنّ:

ـ "علِمَ بـ"، تعني: أحاط عِلْمًا بالأمر: ألمّ به إلمامًا شاملاً.

ـ العِلْم: مجموعة مسائل في موضوع معيَّن اكتسبها الإنسانُ من اكتشاف وترجمة النواميس الموضوعيَّة التي تحكم الأحداث والظاهرات.

ـ العِلْم العَمليّ: ما كان متعلّقًا بكيفيَّة تطبيق قواعد الفنون والعلوم ومبادئها.

ـ العِلْم النَّظريّ: هو القائم على النظريَّات المجرّدة دون الاهتمام بالتطبيق.

ـ العلوم الآليّة: هي آلة لتحصيل غيرها كعلم المنطق[2].

وهذه التّعاريف الّتي وردت في معجم اللّغة العربيّة المعاصرة، تنطبق على التّعريف الاصطلاحي لـ"علم"، **فالعلم** هو دراسة ظاهرة معينة والوقوف على ماهيتها وجزئياتها وما يتعلّق بها دراسة موضوعيّة، ويُحدّ كلّ علم بمادّته وموضوعه ومنهجه. فاللّسانيات مثلاً، تعرّف على أنّها: "العلم الّذي يدرس اللّغة"، مادّتها وموضوعها اللّغة، تعتمد المنهج: (الوصفي، التّاريخي، المقارن، التّقابلي، التّداولي).

فما هو علم الدّلالة؟ وما مادّته الّتي يبحث فيها؟ وما موضوعه ومنهجه الّذي يعتمد عليه؟

---

1 ـ ابن منظور، لسان العرب، مادّة (ع ل م).

2 ـ أحمد مختار عمر، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة، مادّة (ع ل م).

2 ـ الدّلالة لغة:

الدّلالة بكسر الدّال أو بفتحها، مصدر دلّ، وقد جاء في مقاييس اللّغة: «الدَّالُ وَاللَّامُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا إِبَانَةُ الشَّيْءِ بِأَمَارَةٍ تَتَعَلَّمُهَا، وَالْآخَرُ اضْطِرَابٌ فِي الشَّيْءِ. فَالْأَوَّلُ قَوْلُهُمْ: دَلَلْتُ فُلَانًا عَلَى الطَّرِيقِ. وَالدَّلِيلُ: الْأَمَارَةُ فِي الشَّيْءِ. وَهُوَ بَيِّنُ الدَّلَالَةِ وَالدِّلَالَةِ»، وقال الفيروز آبادي: «ودَلَّهُ عليه دَلالَةً، ويُثَلَّثُ، ودُلولةً فانْدَلَّ: سَدَّدَهُ إليه. والدِّلّيلى، كخِلّيفَى: الدَّلالَةُ، أو عِلْمُ الدَّليلِ بها، ورُسوخُهُ...»، فهي تحمل معنى الإبانة والأمارة والتّوضيح.

وحسب معجم اللّغة العربيّة المعاصرة، فهي تأتي بمعاني عدّة:

- ما يُفْهم من اللّفظ عند إطلاقه "لهذه الكلمات دلالات خاصّة".
- دليل، شاهد، برهان: "ما هي دَلالتك على صحّة الخبر؟".
- إشارةٌ، علامة: "وضعت إدارة المرور دلالات للطرق".

ومنه نستخلص أنّ "الدّلالة" في اللّغة تأتي بمعان عدّة، أبرزها: الإبانة، الأمارة، الدّليل، الشّاهد، البرهان، الإشارةٌ، العلامة.

3 ـ الدّلالة اصطلاحاً:

ورد مفهوم "الدّلالة" في الاصطلاح العربي القديم، بصور عدّة، نذكر منها:

✓ ما جاء عند الراغب الأصفهاني (ت502هـ)، حيث يقول: «الدّلالة: ما يتوصّل به إلى معرفة الشّيء، كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات والرّموز والكتابة، والعقود في الحساب، وسواء كان ذلك بقصد ممّن يجعله دلالة، أو لم يكن بقصد، كمن يرى حركة إنسان فيَعْلَم أنّه حيّ، قال تعالى: ﴿ما دَلَّهُمْ عَلى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾[سبأ/ 14]. أصل الدّلالة مصدر كالكتابة والإمارة، والدّالّ: من حصل منه ذلك، والدّليل في المبالغة كعالم، وعليم، وقادر، وقدير، ثمّ يسمّى الدّالّ والدّليل دلالة، كتسمية الشّيء بمصدره». نلمس في هذا التّعريف معنى الدّلالة بصورة جليّة؛ فهي دراسة ما يدلّ على شيء يُتوصل به إلى معنى، والألفاظ من أكثر الرموز دلالة على المعنى، وأكثرها إشارة ودقّة في التّعبير، وهو يشير إلى الدّلالة اللّسانية (الألفاظ، الكتابة) وغير اللّسانية (الإشارات والرّموز والعقود).

✓ أمّا يعرِّفُها الشريف الجرجاني ت(816 هـ)، فيعرِّفُها بـ: «كون الشّيء بحالة يلزم من العلم به، العلم بشيء آخر، والشّيء الأوّل هو الدّال، والثّاني هو المدلول»، وهو تعريف يشير إلى المعنى العام لكلّ رمز إذا عُلِمَ كان دالاً على شيء آخر، مثل: وجود الدّخان دليل على النّار، ثمّ ينتقل من العام إلى الخاص، فيعرّف الدّلالة الخاصّة بالألفاظ باعتبارها من الرّموز الدّالة، فيقول: «والدّلالة اللّفظية الوضعيّة، هي كون اللّفظ بحيث متى أطلق أو تخيّل فُهم منه معناه للعلم بوضعه، وهي المنقسمة إلى المطابقة والتّضمين والالتزام، لأنّ اللّفظ الدّال بالوضع يدلّ على تمام ما وُضع له بالمطابقة، وعلى جزئه بالتّضمن، وعلى ما يلازمه في الذّهن بالالتزام».

يشير الجرجاني إلى الدّلالة اللّسانية وغير اللّسانية المتمثلة في جميع أصناف العلامات، ثم يفسّر الدّلالة اللّفظية الّتي هي جزء من الدّلالة اللّسانية اللّغوية، ويُبيّن أنواعها (المطابقة والتّضمين والالتزام). كما نجد أنّ دلالة لفظ (الدلالة) في الاصطلاح ترتبط بدلالتها في اللّغة حيث انتقلت اللّفظة من المعنى المحسوس، وهو الدّلالة على الطريق إلى المعنى المجرّد، والدّلالة على معاني الألفاظ.

أمّا عند المحدثين، فيمكن أن نمثّل بتعريف خولة طالب الإبراهيمي للدّلالة، فهي تعني أنّ: العنصر أ يدلّ على ب[1]. وتميّز بين نوعين من الأدلّة والرّموز (لغويّة وغير لغويّة)، والدّليل اللّغوي: «هو ذلك اللّفظ الّذي يدلّ على شيء أو معنى معيّن وركيزته الماديّة هو الصّوت (...) فالدّليل اللّغوي في حقيقته كيان ذهني مكوّن من الدّال وهو الصورة الصّوتيّة، والمدلول أيّ المفهوم الّذي يبنيه الإنسان من تصوّره للشّيء (مشخّصاً كان أو مجرّداً)»[2].

4 ـ تعريف علم الدّلالة:

يُعرَف علم الدّلالة، حالياً، بأنّه ذلك الفرع من الدّراسات اللّغويّة المسمّى لدى الأوربيّين "Semantics". وتلك دراسة حديثة المولد نسبياً، بدأها بريال "Bréal" في أواخر القرن التّاسع عشر. وقد اختير المصطلح العربي الدَّلالة مقابلاً لهذا العلم السِّيمانتيك، نظراً لانتشاره في المصنَّفات العربيَّة القديمة. إلى جانب ما يُعين عليه مصطلح الدَّلالة من اشتقاقات في

1 ـ خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللّسانيات، دار القصبة للنّشر، سعيد حمدين، الجزائر، ط2، 2006، ص.19.
2 ـ المرجع نفسه، ص.20.

المادَّة (دلّ، الدّال، المدلول، المدلولات ...)، وهي ألفاظ ارتبطت بالرموز اللّغوية وغير اللّغوية، ومثل هذه الاشتقاقات لا يتيحها مصطلح المعنى لأنّ فيه عموماً، كما أنّه ألصق بعلم البلاغة. ولعلّ تتبّع ماهية الدّلالة بين القديم والحديث يؤكّد ذلك.

ويعرَّف علم الدّلالة، بأنّه: «فرع من فروع علم اللّغة، قد ظهرت أوّل ما ظهرت سنة 1839»[1]، ويؤكّد هذا التّريف على أنّ العلامات والأدلّة الّتي يبحث فيها هذا العلم، هي تلك المرتبطة باللّغة لا غير، عكس السّيميولوجيا الّتي تبحث في جميع أصناف العلامات.

وجاء في معجم اللّغة العربيّة المعاصرة: «علم الدَّلالة: (لغ) علم الدِّلالة، العلم المختصّ بدراسة معاني الألفاظ والعبارات والتَّراكيب اللُّغويَّة في سياقاتها المختلفة»، حيث عرّف بموضوعه، وهو دراسة المعاني اللّغويّة المفردة والمركّبة على السّواء.

ويذكر أحمد مختار عمر بعض ما عرّف به علم الدّلالة، فيقول: «يعرّفه بعضهم بأنّه "دراسة المعنى"، أو "العلم الّذي يدرس المعنى"، أو "ذلك الفرع الّذي يدرس الشّروط الواجب توافرها في الرّمز حتّى يكون قادراً على حمل المعنى"»[2].

لنخلص إلى أنّ علم الدّلالة، علم لغوي يبحث في دراسة المعنى، معتمداً بالأساس على المادّة اللّغويّة، وفق المنهج الوصفي والتّاريخي (وإن كان لا يهمل باقي المناهج اللّسانيّة).

موضوع علم الدّلالة ووحدته الأساسيّة:

تبحث في المعنى، والعلاقة بين الدّال والمدلول عموماً، علوم مختلفة، كالسّيمياء والمعجميّة والمصطلحيّة وبعض علوم الأدب وغيرها. والأقرب منها للبحث الدّلالي "المعجميّة"، إلّا أنّها تبحث في المعاني المفردة دون غيرها، فالمعجميّة تُعني بمعاني مفردات اللّغة المتواضع عليها وهي معزولة عن التّراكيب، و«يعتمد معنى أيّة جملة على عنصرين على الأقلّ: معاني الكلمات بالجملة، والتّركيب النّحوي لتلك الجملة»[3]، ومنه فأصغر وحدة لغويّة يهتمّ بها علم الدّلالة، هي المفردة، أو ما يطلق عليه "السّميم".

1 ـ ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللّغة، تر: كمال بشر، مكتبة الشّباب، القاهرة، مصر، د.ط، 1975، ص.14.

2 ـ أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط5، 1998، ص.7.6.

3 ـ تراسك ر.ل، أساسيات اللّغة، تر: رانيا إبراهيم يوسف، المجلس الأعلى للثّقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص.53.

ومنه كان الاختلاف في تحديد وضبط موضوع علم الدّلالة بدقّة، فنجد بعض الباحثين يعتبر أنّ «علم الدّلالة يبحث في الدّلالة اللّغويّة؛ أي العلامات اللّغويّة دون سواها، وإن كان موضوع علم الدّلالة هو كلّ ما يقوم بدور العلامة أو الرّمز، سواءً أكان لغوياً أم غير لغوي، إلّا أنّ التّركيز يكون على المعنى اللّغوي في مجال الدّراسة اللّغويّة»[1]، لنفهم أنّ موضوع علم الدّلالة هو البحث في المعنى اللّغوي، دون تفصيل في طبيعة هذا المعنى المقصود والحدود بينه والمعنى المعجمي.

ويحصر أحمد مختار عمر، فروع التّحليل الدّلالي، في موضوعين أساسيّين:

ـ معاني المفردات؛ تبحث في دلالة المفردات خارج الاستعمال اللّغوي، أي المعاني المعجميّة.

ـ معاني الجمل والعبارات؛ أو التّراكيب، أين تقوم العناصر اللّغويّة بدور الأدلّة والرّموز لعلاقات مع عناصر لغويّة أخرى[2].

ويفصّل محمّد محمّد يونس علي، في الموضوعات الّتي يتناولها علم الدّلالة، وهي:

ـ البنية الدّلاليّة للمفردات اللّغويّة.

ـ العلاقة الدّلاليّة بين المفردات كالتّرادف والتّضاد.

ـ المعنى الكامل للجملة، والعلاقات القواعديّة بينها.

ـ علاقة الألفاظ اللّغويّة بالحقائق الخارجيّة الّتي تشير إليها (علم الدّلالة الإشاري).

ـ دراسة الكلمات المفردة وتاريخها، وتطوّر معانيها عبر العصور تحت مبحثين يطلق عليهما: التّأثيل etymology، والتّغيّر الدّلالي semantic change[3].

موضوع علم الدّلالة، هو معاني العناصر اللّغويّة (مفردات وتراكيب)، والبحث في العلاقات الدّلاليّة القائمة بينها، وفق منهج وصفي وتأثيلي تطوّري.

1 ـ كلود جرمان وريمون لوبلون، علم الدّلالة، تر: نور الهدى لوشن، دار الكتب الوطنيّة، بنغازي، ليبيا، ط1، 1997، ص.7 (مقدمة المترجمة).

2 ـ أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط5، 1998، ص.7.6.

3 ـ محمّد محمّد يونس علي، مقدّمة في علمي الدّلالة والتّخاطب، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص.12.

ثانياً: المسار التّاريخي لنشأة علم الدّلالة:

لمّا كانت اللُّغة وسيلة التّواصل الإنساني، كان سعيه حثيثاً نحو فهمها وفهم آليات تشكيلها والعلاقات القائمة فيها، كما كان دافعه في ذلك حاجته إلى فهم الكتب المقدّسة، وبدأ الأمر مع الهنود في محاولة فهمهم لكتابهم الدّيني (الفيدا)، والّذي يُعتبر منبع الدّراسات اللُّغويّة والألسنيّة الّتي قامت حوله. فقد درس الهنود مختلف الأصناف الّتي تشكّل عالم الموجودات، و«صرّح باتنجالي بوجود أربعة أقسام للدّلالات تبعاً لعدد الأصناف الموجودة في الكون، لأنّ الكلمات شارحة لهذه الأصناف. هذه الأقسام الأربعة هي:

ـ قسم يدلّ مدلول عام أو شامل [مثل لفظ: رجل].
ـ قسم يدلّ على كيفيّة [مثل كلمة: طويل].
ـ قسم يدلّ على حدث [مثل الفعل: جاء].
ـ قسم يدلّ على مادّة [مثل الاسم: محمد]»[1].

وفي سياق فلسفي كانت محاولة اليونانيين البحث في مسائل شديدة الصّلة بعلم الدّلالة، من ذلك علاقة اللّفظ بالمعنى، حيث يقول سقراط وأفلاطون بالعلاقة الطّبيعيّة بين اللّفظ ومعناه، بعكس أرسطو الّذي يرى بأنّها اصلاحيّة، ويوضّح أفلاطون بأنّ «تلك الصّلة الطّبيعيّة كانت واضحة سهلة التّفسير في بدء نشأتها، ثمّ تطوّرت الألفاظ ولم يعد من اليسير أن نتبيّن بوضوح تلك الصّلة أو نجد لها تعليلاً وتفسيراً»[2].

أمّا أرسطو فكان يقول باصطلاحيّة العلاقة، كما فرّق «بين الصّوت والمعنى، وذكر أنّ المعنى متطابق مع التّصوّر الموجود في العقل المفكّر»[3]، وميّز بين الأشياء في العالم الخارجي والتّصوّرات (المعاني) والأصوات (الرّموز أو الكلمات)، وكان تمييزه بين الكلام الخارجي والكلام الموجود في العقل، السّؤال ما إذا كان المعنى هو الفكرة أو شيئاً غيرها، هو الأساس لمعظم القضايا ونظريات المعنى في العالم الغربي خلال العصور الوسطى[4].

1 ـ أحمد مختار عمر، البحث اللّغوي عند الهنود، دار الثّقافة، بيروت، لبنان، د.ط، 1972، ص.105.
2 ـ المرجع نفسه، ص.18.
3 ـ المرجع نفسه، ص.17.
4 ـ المرجع نفسه، ص.17.

إنّ الحديث عن التَّطوُّر التَّاريخي لنشأة مصطلح علم الدَّلالة لا يدعنا نتجاهل جهود العرب من مفكّرين ولغويّين، فلقد ارتبط ذلك عندهم بالدَّرس الفقهي، وساهم علماؤنا القدامى في تأسيس الفكر الدَّلالي، و هذا بما تحتويه مصنَّفاتهم من مسائل دلاليَّة تجاوزت الفكر اللِّساني والدَّلالي الحديث. فالبحوث الدَّلالية العربيَّة تمتد من القرون (الثَّالث والرَّابع والخامس الهجريَّة) إلى سائر القرون التَّالية لها، وهذا التَّأريخ المبكِّر إنّما يعني نضجاً أحرزته العربيَّة وأصّله الدَّارسون في جوانبها.

لقد بقي الاهتمام بالبحث اللُّغوي والدَّلالي مستمراً عبر التَّاريخ حتَّى عصر النَّهضة الَّذي عُرف بالمنحى الكلاسيكي، الأمر الَّذي انعكس على الدِّراسات اللُّغويَّة وقد مثَّلت ذلك الاتِّجاه مدرسة (بور روايال) الَّتي رفع روَّادها مقولة: أنَّ اللُّغة ما هي إلَّا صورة للعقل، وأنَّ النِّظام الَّذي يسود لغات البشر جميعاً قوامه العقل والمنطق.

يُعتبر بريال واضع مصطلح علم الدَّلالة، وقد كان ذلك في الرُّبع الأخير من القرن العشرين، يقول ستيفن أولمان: «هذه الدّراسة لم تعرف بهذا الاسم إلّا بعد فترة طويلة، أي في سنة 1883، عندما ابتكر العالم الفرنسي ميشال بريال المصطلح الحديث Sémantigne الّذي لم يلبث أن انتقل إلى اللّغة الإنجليزيّة مترجماً بالكلمة Sémantics. ولمّا تعرّض هذا المصطلح الإنجليزي للغموض كانت هناك حاجة قويّة إلى الاستعاضة عنه بالاسم القديم: Sémasiologi، غير أنّ Sémantics نظراً لقصره وخفّته في النّطق يبدو أنّه الآن قد عمّ انتشاره بدرجة كبيرة»[1].

لم تبرز فكرة ظهور علم للدّلالة كفرع علميّ مستقلّ إلّا مع نهايات القرن التّاسع عشر، على يد الفرنسي "ميشال بريال"، من خلال بحثه (Essai de semantique) "مقالة في السيمانتيك"، وقد استقرّ في العربيّة استعمال مصطلح "علم الدّلالة"

1 ـ ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللّغة، تر: كمال بشر، مكتبة الشّباب، القاهرة، مصر، د.ط، 1975، ص.14.

الدّرس الثّاني: الدّلالة عند العلماء العرب1: النّحّاة، اللّغويون، علماء الأصول

ارتبط الدّرس الدّلالي في التّراث العربي ـ بدءاً ـ بالدراسات القرآنية، فمن خلال محاولة علماء التّراث دراسة اللّغة خدمة للقرآن الكريم، ومحاولة فهم معانيه واستقراء الأحكام الشّرعية واستنباطها. ثمّ تنوّعت الدّراسات بتعدّد مرجعيات علمائنا الفكريّة والعلميّة، فارتبطت الدّلالة بالدّرس الفقهي عند علماء الأصول، وبالمنطق عند الفلاسفة، وباللّغة عند النّحاة. وكان لهذا التّنوّع أثره في ثراء الموروث العربي بالمسائل الدّلاليّة الّتي تتقاطع بشكل كبير مع مباحث علم الدّلالة الحديث.

1 ــ الدّلالة عند النّحّاة:

ميّز النّحاة بين الكلام والقول، واعتبروا أنّ الكلام "هو اللّفظ لمفيد لمعنى"، فالإفادة شرط ضروري لاستقامته، فهذا سيبويه (ت180هـ) إمام النّحاة يفرد في "كتابه" باباً سمّاه: "هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة"، عرض فيه خمس حالات، حيث يقول: «فمنه مستقيم حسن ومحال ومستقيم كذب ومستقيم قبيح وما هو محال كذب»[1]، ثمّ نجده يُحلّل ويفسّر هذه الحالات بأمثله، معتمدا على طريقة عقلية منطقية تخصّ المعنى، وبطريقة نحوية لغوية تخصُّ تركيب الكلام، وتجعل البعد الدّلالي للجملة يقوم على ما يَصحُّ من الكلام وما لا يصحّ، وما يجوز وما لا يجوز، ويعرض ذلك بالشّكل التّالي:

ـ فأمّا المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس وسآتيك غداً.

ـ وأمّا المحال فأنْ تنقض أوّل كلامك بآخره، فتقول: أتيتك غداً، وسآتيك أمس.

ـ وأمّا المستقيم الكذب فقولك: حملتُ الجبل، وشَربْتُ ماء البحر ونحوه.

ـ وأمّا المستقيم القبيح فأنْ تضع اللّفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيداً رأيت، كيْ زيد يأتيك، وأشباه هذا.

ـ وأمّا المحال الكذب فأنْ تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس[2].

فالمستقيم والقبيح من جهة النّحو، أمّا الحسن والكذب والمحال ففي المعنى من جهة عقلية.

1 ـ سيبويه، الكتاب، ص25.

2 ـ نفسه، ص25.

كما أبرز النّسبة بين المعاني والألفاظ والموازنة بينها في اللّغة، حيث يُعبِّر اللّفظ الواحد عن معنى واحد، فقسم الألفاظ حسب مدلولاتها:

1 ـ اختلاف اللّفظين لاختلاف المعنيين نحو: "جلس وذهب".

2 ـ اختلاف اللّفظين واتفاق المعنيين نحو: "هب وانطلق".

3 ـ اختلاف اللّفظين مع اختلاف المعنى نحو: «وَجَدَتْ عَلَيْهِ منَ المُوجِدة ووَجَدْتَ إذا أرَدْتَ وِجْدَان الضَّالة».

وصنّف النّحاة الدلالة عند تناولهم للجملة وطبيعة دلالتها على المعنى، إلى دلالة قطعيّة ودلالة احتماليّة، ومعنى: «أنْ تكون ذات دلالة قطعية، تدلّ على معنى واحد لا تحتمل غيره (...) والأخرى تحتمل أكثر من معنى». والأسباب التي تؤدي إلى دلالة الاحتمال في الجملة كثيرة منها: الاشتراك اللّفظي في معنى المفردة، والاشتراك في دلالة الصّيغة. وهنا تظهر طبيعة دلالة الجملة العربية من حيث الوظيفة النّحوية فقط، يقول الأشموني: «النّصب في نَحْو: "ذُنُوبُ مَاءً، وحَبَّ عَسَلاً" أولى من الجرّ، لأنّ النّصب يدلّ على أنّ المتكلم أراد أنّ عنده ما يملأ الوعاء المذكور من الجنس المذكور، وأمّا الجرّ فيحتمل أنْ يكون مراده ذلك، وأنْ يكون مراده بيان أنّ عنده الوعاء الصالح لذلك»، وهذا دليل على أنّ النّحاة نظروا إلى دلالة الألفاظ من جهة القصد والمواصفة.

أمّا باعتبار الظّاهر والباطن فتكون ظاهرة أو باطنة، ويُراد: «بالظّاهرة، المعنى الّذي يعطيه ظاهر اللّفظ، وبالدّلالة الباطنة: المعنى الذّي يعطيه فحوى الكلام ولا يُفهم من ظاهر العبارة ...»، فالدّلالة الباطنة هي معنى المعنى، وهو ما نجده في المجاز والكنايات.

لقد كانت دراسة النّحّاة، دراسة تحليليّة تهتم بمكونات التّركيب من حيث المبنى والمعنى، فارتبط النّحو بدراسة الصوت المفرد، والصّيغة الصّرفية، والجملة، وكانت الجملة تمثّل إطاراً معنوياً ودلالياً، ووظيفتها معتمدة على الحركة أو الإعراب.

ميّز النّحّاة بين مستويين من الدّراسة النّحويّة؛ يتمثّل المستوى الأوّل: في رصد الصّواب والخطأ في الأداء، والثّاني: في علاقة المبنى والمعنى، والبحث عن المعنى في النّظام اللّغوي، بدراسة العلاقات التّركيبيّة المختلفة داخل الجملة أو بين الجمل.

2 ـ الدّلالة عند اللّغويّين:

عكف اللّغويّون العرب الأوائل على جمع المادّة اللّغويّة، ورتّبوها في مؤلّفات عدّة، متناولين فيها عدّة مسائل متعلّقة بعلم الدّلالة، فشرحوا معاني المفردات الّتي جمعوها، وصنّفوا بعضها حسب الموضوعات الّتي تنتمي إليها، وعرضوا للعلاقات الدّلاليّة، وغير ذلك من المسائل المتعلّقة بالدّلالة، وسنمثّل هنا بجهود أحد علماء اللّغة في القرن الرّابع الهجري.

أبو الفتح عثمان بن جنّي (320هـ-392هـ) من علماء، اهتمّ بدراسة اللّغة العربيّة في كتابه "الخصائص"، أين فتح أبواباً بديعة في العربية لا عهد للنّاس بها قبله كوضعه لأصول الاشتقاق بأقسامه، ومناسبة الألفاظ للمعاني وغير ذلك. ومن أبرز أبوابه المتعلّقة بالدّلالة نذكر:

ـ باب "تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني".
ـ باب "الدّلالة اللفظية والصناعية والمعنوية".
ـ باب "إمساس الألفاظ أشباه المعاني".
ـ باب "مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها".
ـ باب "الاشتقاق الصغير والأكبر والكبير".

وأهم المسائل الدلالية التي تناولها:

✓ **نشأة اللّغة:** عرض ابن جنّي أراء علماء عصره حول قضية نشأة اللّغة ووقف موقفاً وسطاً، فقال بالإلهام والاصطلاح معًا؛ يقول أبو الفتح: «فأقف بين تين الخلّتين (الإلهام والعرف) حسيراً، أو أكاثرها فأنكفئ مكثوراً، وإن خطر خاطر فيما بعد يعلّق الكف بإحدى الجهتين، ويكفها (أو يفكها) عن صاحبتها قلنا به».

✓ **علاقة اللّفظ بالمعنى:** تناول ابن جنّي مسألة العلاقة بين اللّفظ والمعنى من ثلاثة جوانب:

ـ تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني؛ يقول: «هذا فصل من العربية كثير المنفعة قوي الدلالة على شرف هذه اللغة، وذلك أن نجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة، فتبحث عن أصل كلّ اسم منها فتجده مفضي المعنى غلى معنى صاحبه». وفي هذا القول إشارة إلى وقوع التّرادف في اللغة، وقد وضّح ابن جني هذه المسألة بالشواهد.

ـ تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني؛ وفي هذا الباب بيّن تقارب الدلالات لتقارب حروف الألفاظ من حيث المخارج، ومثاله لفظ "أزا"، الوارد ذكره في قوله تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾، يقول أبو الفتح: «أي: تزعجهم وتقلقهم، فهذا في معنى تهزّهم هزًّا، والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين. وكأنهم خصّوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهزّ؛ لأنك قد تهز ما لا بال له كالجذع وساق الشجرة، ونحو ذلك». وقد وضّح ابن جني هذه الجوانب بكثير من الشواهد، وأظهر من خلالها القيمة التعبيرية لأصوات العربية وأبنيتها.

ـ باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني؛ في هذا الباب أشار إلى العلاقة الطبيعية بين الأصوات ومدلولاتها، وكذا أبنية الكلمات وما تتحمله من دلالة طبيعية، يقول: «اعلم أن هذا موضع شريف لطيف، وقد نبَّه عليه الخليل وسيبويه، وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته. قال الخليل: كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدًّا فقالوا: صَرَّ، وتوهموا في صوت البازي تقطيعًا فقالوا: صرصر. وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفعلان: إنها تأتي للاضطراب والحركة، نحو: النقزان والغلبان والغثيان، فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال».

✓ **أنواع الدّلالة:** قسّم ابن جني الدلالة إلى ثلاثة أنواع تحت ما سماه دلالة الفعل؛

ـ الأوّل الدلالة اللفظية: ويجمع هذا النوع بين ما يصطلح عليه في الدرس الدلالي الحديث بالدلالة الصوتية والدلالة المعجمية.

ـ الثّاني الدلالة الصناعية: ويقصد به الدلالة الصرفية.

ـ الثّالث الدّلالة المعنوية ويقابلها حديثا الدلالة النحوية.

✓ **الحقيقة والمجاز:** فرّق ابن جني بين الحقيقة والمجاز في الباب الأول عل أساس الوضع، وبيّن دواعي الانتقال من الحقيقة إلى المجاز، يقول: «الحقيقة: ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة، والمجاز: ما كان بضد ذلك. وإنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعانٍ ثلاثة، وهي: الاتساع والتوكيد والتشبيه. فإن عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة».

مما سبق يمكن القول إنّ مصنفات ابن جني كانت ثرية بالدرس الدلالي، فقد تقاطعت المسائل التي تناولها بمباحث علم الدلالة، لذلك يمكننا القول إن لنا في التراث العربي نظرية دلالية لا تحتاج سوى إلى إعادة ترتيب العناصر وتصنيفها في مجال محدد.

عمل تطبيقي: حلّل النصوص التّالية، مبرزا أهم الظواهر الدلالية.

النص الأول:

يقول ابن جني في باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني: «اعلم أن هذا موضع شريف لطيف وقد نبه عليه الخليل وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته .قال الخليل كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدا فقالوا صر، وتوهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا صرصر، وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفعلان أنها تأتي للاضطراب والحركة، نحو الغليان والغثيان فقابلوا توالي حركات المثال بتوالي حركات الأفعال».

الخصائص ج2 ص152

النص الثاني:

«فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث، فباب عظيم وواسع ونهج متلئب عند عارفيه، ذلك لأنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها، فيعدلونها بها ويحتذونها عليها بذلك أكثر مما نقدره وأضعاف ما نستشعره من ذلك كقولهم خضم وقضم، فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب، والقضم للصلب اليابس نحو قضمت الدابة شعيرها ونحو ذلك».

الخصائص ج2 ص 157

النص الثالث:

ويقول: «من ذلك قول الله سبحانه: "ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا" أي تزعجهم وتقلقهم. فهذا في معنى تهزهم هزا، والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين. وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز لأنك قد تهز ما لا بال له، كالجذع وساق الشجرة ونحو ذلك».

الخصائص ج2 ص146 .147

تحليل النص الأول:

يفترض ابن جني وجود صلة بين صوت الجندب والفعل الذي يدل عليه "صر"، وبسبب تشابه صوت البازي وصوت الجندب، مع وجود اختلاف في الكيفية، جاء الفعل الذي يصف صوت البازي مضعفا "صرصر". فنجده يركز على تقارب المعاني نتيجة لتقارب جرس الأصوات، ويفرق بين المعاني نتيجة لاختلاف الجرس. ويضيف ما قاله سيبويه في هذا الباب "أن المصادر التي جاءت على الفعلان، تأتي للاضطراب ... حركات الأفعال". فالمصادر التي على وزن "فعلان" ـ بفتح الفاء والعين ـ تدل على الحركة المصاحبة للحدث.

ملاحظة: هذه فكرة توضيحية وعلى الطالب أن يتعمق في الشرح والتعليل كنموذج تدريبي.

تطبيق2:

يقول ابن جني في "باب في الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية": «اعلم أن كل واحد من هذه الدلائل معتد مراعى مؤثر، إلا أنها في القوة والضعف على ثلاث مراتب، فأقواهن الدلالة اللفظية ثم تليها الصناعية ثم تليها المعنوية، ولنذكر من ذلك ما يصح به الغرض فمنه جميع الأفعال، ففي كل واحد منها الأدلة الثلاثة، ألا ترى إلى قام ودلالة لفظه على مصدره ودلالة بنائه على زمانه ودلالة معناه على فاعله، فهذه ثلاث دلائل من لفظه وصيغته ومعناه، وإنما كانت الدلالة الصناعية أقوى من المعنوية من قبل أنها وإن لم تكن لفظا فإنها صورة يحملها اللفظ ويخرج عليها ويستقر على المثال المعتزم بها، فلما كانت كذلك لحقت بحكمه وجرت مجرى اللفظ المنطوق به، فدخلا بذلك في باب المعلوم والمشاهدة، وأما المعنى فإنما دلالته لاحقة بعلوم الاستدلال وليست في حيز الضروريات».

الخصائص ج3 ص98

المطلوب: حلل النص، واستخرج أهم المفاهيم الدلالية المتضمنة مع التمثيل.

التحليل: أبرز ابن جني في هذا النص أنواع الدلالات في الكلمة الواحدة، بحيث فصل بينها وجعلها مستقلة عن بعضها البعض وصنفها حسب قوتها مبتدئا بالأقوى دلالة وهي الدلالة اللفظية (المعجميّة) ثم الدلالة الصناعية (الصّرفيّة) وأخيرا الدلالة المعنوية (النّحويّة). ثم بين أن الأفعال تشتمل على هذه الأنواع من الدلالات مجتمعة.

ـ الدلالة اللفظية: ويقصد بها دلالة الجذر.

مثل: الفعل قام ودلالة جذره (ق، و، م) على حدث يختلف عن معنى الجذر (س، م، ع) مثلا، فلكل جذر إذن دلالة خاصة به تميزه عن جذر آخر.

ـ الدلالة الصناعية: ويقصد بها دلالة الوزن أو الصيغة الصرفية. فالكلمة في اللغة العربية تتكون من: الجذر + الوزن، ولكل وزن دلالة خاصة به، إذ نجد مثلا أن كلمتي (قام ومقام) تشتركان في نفس الدلالة اللفظية وهي دلالة الجذر (ق ، و ، م) لكن معناهما مختلف نتيجة تباين وزنيهما مما ينتج عنه تباين في معنى كل وزن:
فوزن قام هو (فعل) الذي يدل على حدث القيام في الزمن الماضي.
ووزن مقام هو(مفعل) الذي يدل على معنى اسم المكان.

يتبين لنا أن الصيغ الصرفية تلعب دورا كبيرا في الدلالة على معنى الكلمة. فصيغ الأفعال بأنواعها: الماضي والمضارع والأمر تدل على الحدث وزمانه، وما يتصل بهذه الأفعال من حروف وما يدخلها من التضعيف، فتضعيف العين مثلا يدل على قوة الحدث وكثرته مثل: اخضر واخضوضر. وتحمل صيغ الأسماء العديد من المعاني التي تتنوع بتنوعها، كأسماء الفاعلين وأسماء المفعولين وصيغ المبالغة والتصغير والنسب والجموع، فلكل منها معنى تؤديه. ويمكننا التعرف على معاني تلك الأوزان بالرجوع إلى كتب الصرف.

ـ الدلالة المعنوية: وهي دلالة فاعل الفعل، فالدلالة المعنوية للفعل (قام) هي الفاعل الذي قام بالفعل (هو). والدلالة المعنوية في الاسم (قافلة) هي: قافلة، سيارة، كواكب ... أي مختلف المعاني الأصلية والمجازية.

ملاحظة: لا نجد كل هذه الأنواع من الدلالات إلا في الأسماء المتمكنة والأفعال المتصرفة.

تمرين:

1 ـ بين أنواع الدلالة التي تتضمنها الكلمات التالية حسب تقسيم ابن جني لها:
هاتف، صه، نِعْمَ، يسلم.

2 ـ ما المعنى المستفاد من الصيغ المتقابلة التالية (استعن بالمعاجم العربية):
ـ القِوام والقَوام ـ الذِل والذُل ـ حاسوب، حاسب.

3 ــ الدّلالة عند علماء الأصول:

اتسعت عند الأصوليين مساحة البحث الدلالي، خاصة في دلالة النّص تفسيرا وتأويلا لمعرفة الأدلة والأحكام الشرعية، وهي من المرتكزات التي قام عليها اهتمامهم الدّلالي فالأدلة عند عالم الأصول شرعية، وهي: المبادئ التي يقوم عليها التشريع، ولغويّة وهي التي تقتضي معرفة دلالة الألفاظ لفهم النصوص من الكتاب والسنة[1]، وبها جاء استنباط الأحكام، فاعتنوا باللّغة من حيث اللفظ والمعنى. ولعل عناية الأصوليين بالدلالة كان للتوصل إلى المقصد من وراء اللفظ، فجاء اهتمامهم باللغة، واللفظة المفردة، وصلة اللّفظ بالمعنى، وأنواع الدلالات، فتبرز اللغة الأصولية، وارتباطها بالدلالة حيث أدركوا الرباط بين اللغة العربية والنص التشريعي، الذي أدّى إلى فهم النّص فهما دقيقا.

واللّغة عند الأصوليين تبدأ من نقطة الدلالة الأولى حيث يرتبط اللفظ بالمعنى، والحديث عن نشأتها، وهي مسألة تَرِدُ كثيرا في تآليف الأصوليين، يقول الغزالي: «ذهب قوم إلى أنّها اصطلاحية إذ كيف تكون توقيفا، ولا يفهم التوقيف إذ لم يكن لفظ صاحب التوقيف معروفا باصطلاح سابق، وقال قوم: إنّها توفيقية إذ الاصطلاح لا يتم إلاّ بخطاب ومناداة ودعوة إلى الوضع، ولا يكون ذلك إلا بلفظ معروف قبل الاجتماع للاصطلاح، وقال قوم: القدر الذّي يحصل به التنبيه والبعث على الاصطلاح يكون بالتوقيف، وما بعده يكون بالاصطلاح (...)، أمّا التوقيف فبأنْ يخلق الله الأصوات والحروف بحيث يسمعها واحد أو جمع، ويخلق العِلم بأنّها قُصدت للدّلالة على المُسَميَّات، والقدرة الأزلية لا تقتصر عن ذلك، وأمّا الاصطلاح فبأنْ يجمع الله دواعي من العقلاء للاشتغال بما هو همهم وحاجتهم من تعريف الأمور الغائبة التي لا يمكن لإنسان أنْ يصل إليها، فيبتدئ واحد ويتبعه الآخر حتى يتم الاصطلاح ...»[2].

إنّ العلاقة بين اللّفظ والمعنى عند علماء الأصول، علاقة عرفية اصطلاحية اعتباطية، وليست علاقة طبيعية إلا فيما يخصّ بعض الألفاظ التي تحمل دلالة صوتها كما بين ذلك ابن جني سابقا، ولو كانت العلاقة طبيعية بين الاسم والمسمى لتوحدت اللّغات، ولفَهِم كلّ إنسان أيَّة لغة من لغات البشر.

---

(1) ينظر: محمد الخضري: أصول الفقه، ط 4، مطبعة السعادة، القاهرة 1962، ص 9.

(2) الغزالي: المستصفى في علم الأصول، ج1، ص318 .

وتناول الأصوليون نظرية الوضع مختلفين في ذلك، وكان التساؤل حول الوجود والماهية وأيّهما الأصل؟ ومنه السؤال حول: هل الألفاظ موضوعة بإزاء الصور الذهنية أو بإزاء الماهيات الخارجية[1].

ولعل أوّل الأصوليين الذين نُسب إليهم علم الأصول هو الشافعي (150هـ-204هـ)، وهو من أئمة أصول الفقه، وكانت مناظراته تدور حول الكلمات وتحديد معانيها، والجمل وتآليفها، فألّف رسالته الأصولية لتمثل طريقا وسطا بين أهل الرّأي وأهل الحديث، وكانت أبحاثه من صميم الدراسة الأصولية حيث اتجهت إلى الدلالة المستمدة من النّص القرآني، وأثر هذه الدلالة على الأحكام الشرعية[2].

وبيَّن في رسالته لأنواع الدلالة منها: ما يُسميه بالعام الظاهر الذي يراد به العام، وعام الظاهر الذي يراد به العام ويَدْخُله الخصوص، وعام الظاهر الذي يراد به الخاص، والاشتراك والترادف اللّفظي فيقول: «وأنّ فطرته "أي اللّسان العربي" أنْ يخاطب بالشيء منه عاما ظاهرا يراد به العام الظاهر (...)، وعاما ظاهرا يراد به العام ويدخله الخاص، فيستدل على هذا ببعض ما خوطب به فيه، عاما ظاهرا يراد به الخاص (...)، وتُسمِي الشيء الواحد بالأسماء الكثيرة، وتسمِي بالاسم الواحد المعاني الكثيرة»[3]. نتبيّن من النّص تقسيم الشافعي لأنواع الدلالة من حيث الشمول ويتضمّن اللفظ العام، الخاص، المشترك، المترادف، واتسمت عناية الشافعي بالبحوث الدلالة واتسمت بالبساطة إذا قورنت بمن جاء بعده حيث تناولوها بالتفصيل، وتجمّعت هذه المباحث وتداخلت مع علم الكلام والبلاغة واللغة، فأخذوها مجتمعة، كما عرضوا لأنواع الدلالات اللفظية وهي: علاقة مطابقة أي علاقة اللفظ بمعناه، وتضمُّن/ وهي جزء المعنى، والتزام/ وهي شيء خارج عنها ملاصق لها[4]،

لقد ارتبطت جهوده بكيفية تحصيل المعنى، ومن المسائل التي أثارها:

ـ اتفاق العبارات لا يعني اتفاق المدلولات، وقد أثبت ذلك في توضيحه وكشفه لأسرار البلاغة في الحديث الشريف.

---

[1] ينظر: المزهر، ج 1، ص 42.

[2] ينظر: سليمان حمودة: التصور اللّغوي عند علماء الأصول، ص 29.

[3] الشافعي محمد بن إدريس: الرسالة، تح أحمد شاكر، مكتبة دار التراث، القاهرة 1940، ص 52.

[4] ينظر : أحمد عبد الغفار: التصوّر اللّغوي، ص 37 .

ـ أشار الشافعي إلى ضرورة تسييق اللفظ من أجل تحديد دلالته، وهذا ما نادت به النظرية السياقية. يقول الشافعي: «تبتدئ الشيء يبين أول لفظها فيه عن آخره، وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوله». وتأكيدا لذلك وضع الإمام عنوانا لباب سماه: الصنف الذي يبين سياقه معناه.

ـ تناول الشافعي مسألة الترادف في اللغة وقد أثبته في معرض بحثه عن دلالة لفظ "شطر" الوارد ذكره في قوله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾، لقد أحصى الشافعي ألفاظاً تناظر لفظ "شطر" في الدلالة، منها: وجهة . قصد . تلقاء. ثم قال: «وكلها بمعنى واحد وإن كانت بألفاظ مختلفة»، وموضوع الترادف يعد من مباحث الدرس الدلالي الحديث، رغم ما أثاره من خلاف حول وجوده من نسبيته منذ القديم.

ـ كما تناول مسألة المشترك اللفظي ففي تفسيره لقوله تعالى في حق نبيه الكريم: ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾. حيث يقول: «مثل ما وصفت: من اتساع لسان العرب وأن الكلمة الواحدة تجمع معان مختلفة».

أقسام الدلالة عند الحنفية (1)

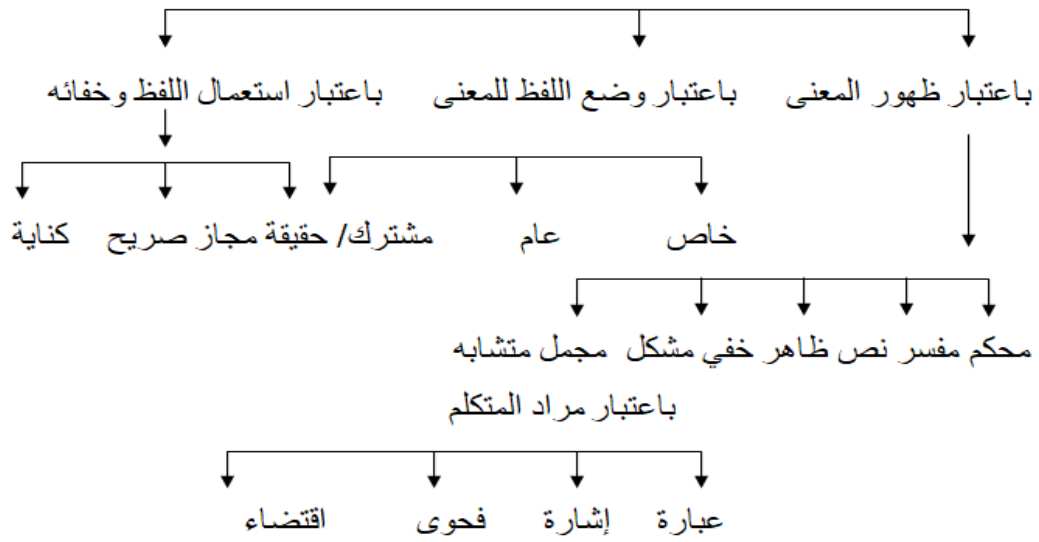

لقد اعتمد الشافعي، وعلماء الأصول عموماً، في تأسيسهم لقواعد أصول الفقه على طبيعة ما جاء عليه القرآن الكريم ﴿لسان عربي مبين﴾، فكانت كل محاولة لاستنباط حكم يسبقها تحليل لغوي للنص بحثا عن القرائن المرجحة للمعنى، وبذلك كانت مباحث الدلالة تأتي طواعية بين يدي هؤلاء العلماء مصدرها كتاب جمع علوم الدنيا والآخرة بين دفتيه.

الدّرس الثّالث: الدّلالة عند العلماء العرب2: الفلاسفة، المتكلّمون، البلاغيون

تناولنا في الدّرس السّابق، الدّلالة عند النّحاة واللّغويّين والأصوليّين العرب القدماء، وسنعرض في هذا الدّرس لجهود كل من: الفلاسفة، المتكلّمون، البلاغيون.

4 ــ الدّلالة عند الفلاسفة وعلماء الكلام:

اهتم الفلاسفة وعلماء الكلام بالمعنى، لأنّه يندرج بصورة حتمية في القضايا الفلسفية مثل: "المفاهيم، والتصورات، وقضية الوجود، والتفكير". فنظروا إلى العلاقة بين المفردات والعالم الخارجي[1]. وأدّى اهتمامهم بالمعاني إلى العناية بالألفاظ لأنّ بين اللّفظ والمعنى علاقة ما[2] كما يرى ابن سينا، فلهذا وجب الاعتناء باللّفظ. ولم يَفصل المناطقة العرب بين اللّفظ ودلالته، فالألفاظ في نظرهم ليست هي كذلك من حيث هي أشياء مادية فحسب، بل من حيث إنّها تحمل دلالة في ذاتها[3].

ومن هنا نجد رأي الفلاسفة: كالكندي، الفارابي، وابن سينا، والغزالي في اللّغة بأنها هي التي تدلّ على المعاني، والمعاني تدلّ على الموجودات في العالم الخارجي، فمادامت اللّغة التي هي ألفاظ تحمل دلالات تدلّ على ما في العالم، فهي بذلك تؤدي إلى إمكانية المعرفة[4]، أي أنّ اللّغة أداة الوصول إلى المعرفة. فهي بالنسبة إليهم مصدر معرفة. وسنحاول أن نعرض لبعض آراء الفلاسفة والمناطقة في مباحث الدّلالة. يرى الرّماني (ت384هـ) في تعريف المعنى: «مقصد تعريفه أنْ يقع البيان عنه باللّفظ»[5]، ولم يخرج عن هذا التعريف إلاّ بعض الفلاسفة عندما أرادوا بالمعنى الجوهر في الأشياء.

وتعريف الدّلالة عند الفلاسفة، هي: «هو كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأوّل هو الدال، والثاني هو المدلول»[6]. وتقوم هنا الدّلالة على الدال

---

[1] ينظر: نايف خرما: أضواء على الدّراسات اللّغوية المعاصرة، سلسلة عالم المعرفة، ط2، الكويت 1979، ص 315.

[2] ينظر: المرجع السابق: ص37.

[3] نفسه: ص 38.

[4] ينظر: الفارابي: كتاب الحروف، ص 76. وينظر: ابن سينا: النجاة، ص 49.

[5] الرّماني: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلامة، ط 3، دار المعارف، مصر، ص 101.

[6] التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون، ج2 ، ص 486 . وينظر: التحتاني قطب الدين الرّازي: تحرير القواعد المنطقية في شرح الرّسالة الشمسية، نشرة الكردي، القاهرة 1905، ج1، ص 174.

والمدلول والعلاقة بينهما، ومنها تطرّق هؤلاء إلى أنواع الدّلالة اللفظية الوضعية، وميّزوا ثلاث مراتب من جهة المعنى "الصورة الذهنية المقصودة"، أو من جهة الموجود الخارجي كذلك، وهي:

ـ **المطابقة:** كدلالة اللّفظ على تمام ما وضع له، كدلالة الإنسان على الحيوان الناطق.

ـ **التضمن:** يدلّ اللّفظ على جزء ما وضع له، كدلالة الإنسان على الحيوان.

ـ **الالتزام:** وهو أن يستدعي اللّفظ، معنى أو شيئا لهما ارتباط ما بالمدلول، وهذا الالتزام أو اللزوم يرادف الاستنتاج المنطقي في النّسق المعرفي، كدلالة الحائط على السقف. ويدرج المناطقة تحت مفهوم الالتزام علاقات أخرى، كتلك التي بين العمى والبصر[1].

والشكل التّالي يوضح ذلك ـ أنواع الدلالة ـ[2]

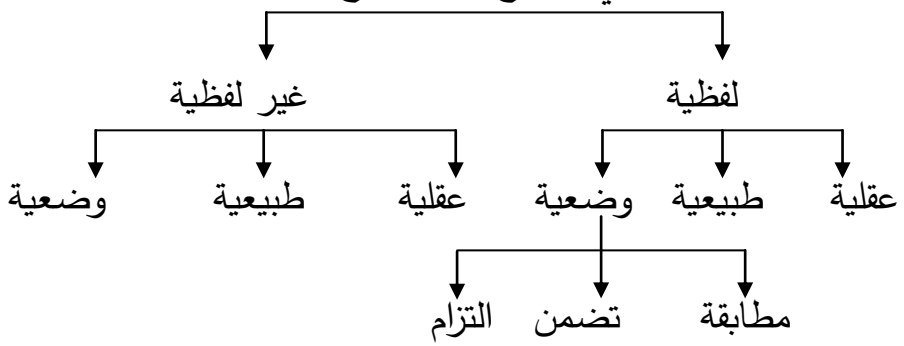

وجعلوا القول "تام وناقص"؛ التام هو ما يفيد معنى يصحّ السكوت عليه، وهو يتألف من كلّ أنواع الجمل، والناقص لا يفيد مثل ذلك المعنى، وهو نوعان: "قول تقييدي، وهو مثل القول الإضافي "مُعَلِمُ التَارِيخِ"، والقول التوصيفي "الحيوان الناطق"[3]. ثمّ حاولوا أن يطِّبقوا هذا التّصنيف على المعاني، فأوجدوا التصنيفات الآتية: "المفهوم والمَاصَدَقَ والتعريف".

ـ **المفهوم:** وكان هذا المصطلح متداولا منذ ابن سينا، وقد عبّروا عنه بلفظ "عنوان"، والمفهوم هو معنى محدد ومحصور جدا[4]، فمفهوم الكاتب لا يتضمن غير مضمون ذات قادرة على الكتابة[5]، وهو الماهية في الحالة التي يستوي فيها مع المفهوم حين يكون الكلّي

---

[1] ينظر: عادل فاخوري: منطق العرب، ص 43- 44.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 42.

[3] ينظر: المرجع السابق، ص 45 – 46.

[4]: المرجع نفسه، ص 46.

[5] ينظر: عادل فاخوري: منطق العرب، ص 46.

نوعا، فمثلا مفهوم الإنسان: هو الحيوان الناطق الذي هو في نفس الوقت نفسه ماهيته وماهية الكاتب كذلك[1].

ـ **الماصدق:** ويسمى بـ"أفراد الذات"، والماصدق منحوت من المركب "مَا تَصْدُقُ عَلَيْهِ الذات"[2]، فيقصد به كما تشير إليه الكلمة في أصلها: مجموعة الأفراد التي يصدق عليها الكلّي، وما صدق الكلّي لا يفترض عددا من أفراد يفوق الواحد.[3]

ـ **التعريف:** وهو مصطلح عام يتناول كلّ عملية تفيد معاني الألفاظ، أمثال: التعريف بالتقسيم وبالمثال، وجميع أنواع الحدّ والرّسم[4].

ويعتبر أبو نصر الفارابي (ت339 هـ)، الفيلسوف الأوّل في البيئة الإسلامية، وسُمي بالمعلم الثاني بعد أرسطو، عرض لمسائل دلالية كثيرة في كتابيه: "الحروف، والألفاظ المستعملة في المنطق"، وهما ذات صلة باللّغة والنّحو والمنطق والفلسفة. يقول في دلالة الألفاظ: «ونحن إذا تأملنا ما تدلّ عليه الألفاظ المشهورة، فإنّما نتأمل الأمكنة التي فيها يستعمل شيء منها عند مخاطبة بعضنا بعضا في الدلالة على المعاني المشهورة التي للدلالة عليها أولا وضعت تلك الألفاظ»[5].

ومن أهم المسائل الدّلالية التي بحثها:

✓ تقسيم الألفاظ باعتبار دلالتها: حيث وضع اسما خاصا سماه "علم الألفاظ"، الذي عدّه من فروع علوم اللسان، والتي قسمها إلى سبعة أقسام: "علم الألفاظ المفردة، وعلم الألفاظ المركبة، وعلم قوانين الألفاظ عندما تكون مفردة، وقوانين الألفاظ عندما تركب، وقوانين تصحيح الكتابة، وقوانين تصحيح القراءة، وقوانين الشعر".

✓ ما يقوم به مقام اللفظ المفرد من الأدوات الدّالة: فالحروف ليست لها دلالة في ذاتها وإنما قيمتها الدلالية فيما تشير إليه.

✓ الدلالة المحتواة في النفس: ويطلق عليها المعقولات، ومحلها النفس.

---

(1) ينظر: المرجع نفسه، ص 48.

(2) ينظر: التحتاني: شرح الشمسية، مجلد 2، ص 32.

(3) ينظر: عادل فاخوري : منطق العرب، ص 48 .

(4) ينظر: المرجع نفسه، ص 49 – 50 .

(5) الفارابي: الحروف ، تحقيق محسن مهدي، ط 2، دار المشرق، بيروت 1990، ص 165.

عمل تطبيقي:

حلل النصوص التّالية، مستخرجا أهم الظواهر اللغوية الواردة فيها، ثم قارنها بما توصلت إليه اللسانيات الحديثة ممثلة بآراء "سوسير"؛

ـ يقول ابن سينا (أبو علي الحسين بن عبد الله 428هـ): «إن الإنسان قد أوتي قوة حسية ترتسم فيها صور الأمور الخارجية، وتتأدّى عنها إلى النفس، فترتسم فيها ارتساما ثانيا ثابتا وإن غابت عن الحس (...) ومعنى دلالة الألفاظ أن يكون إذا ارتسم في الخيال مسموع اسم ارتسم في النفس معنى، فتعرف النفس أن هذا المسموع لهذا المفهوم، فكلما أورده الحس على النفس التفتت إلى معناه». الشفاء ص 3 . 4 .

ـ يقول الغزالي (أبو حامد 505هـ): «إن للشيء وجودا في الأعيان، ثم في الأذهان، ثم في الألفاظ، ثم في الكتابة. فالكتابة دالة على اللفظ، واللفظ دال على المعنى الذي في النفس، والذي في النفس هو مثال الموجود في الأعيان». معيار العلم ص 35 . 36.

ـ يقول حازم القرطاجني (684هـ): «كل شيء له وجود خارج الذهن فإنّه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق ما أدرك منه، فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك، أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة الذهنية في أفهام السامعين وأذهانهم فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ، فإذا احتيج إلى وضع رسوم من الخط تدل على الألفاظ لمن لم يتهيأ له سمعها من المتلفظ بها، صارت رسوم الخط تقيم في الأفهام هيئات الألفاظ، فتقوم بها في الأذهان صور المعاني فيكون لها أيضا وجود من جهة دلالة الخط على الألفاظ الدالة عليه». من كتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص19.18.

5 ــ الدّلالة عند البلاغيّين:

فسّر البلاغيون تغييرات المعنى لغويا في المجاز والاستعارات، وتابعوا تحليل التصورات فلسفيا وربطوها بالحقيقة وبالأشياء، ثم ركزوا على علاقات الرّموز بالمدلولات، فتناولوا اللّفظ والمعنى، وأسبقية أحدهما على الآخر، والعلاقة بينهما، وبيَّنوا أنواع الدّلالات.

ويعتبر الجاحظ؛ **عمرو بن بحر بن محبوب**، أبو عثمان(160هـ-255هـ) أول من أشار إلى طبيعة المعاني في التراث النقدي البلاغي، وهو يرى أنّ المعنى قائم في الصدر متصور في الذهن، وهو يوجد بين الذهن والنفس والصدر، وهي تعني عنده شيئا واحدا، كما يظهر أنّ كلامه يشمل المعاني المفردة أي المعاني اللّغوية للمفردات على كلّ مستوياتها، والمعاني المركبة، أي معاني العبارات. وأهم المسائل التي تطرّق إليها في سياق تناوله للقضايا اللغوية والبلاغية، يمكن أن نذكر:

✓ تطرّق إلى مسألة نشأة اللغة بين التوفيق والاصطلاح، ومذهبه في ذلك مذهب القائلين بالتوقيف، وحججه: كلام عيسى ـ عليه السلام ـ بالحكمة وهو صبي؛ وحاجة آدم وحواء للغة من أجل التفاهم والتحاور؛ وإتيان القرآن بألفاظ لم يعرفها العرب من قبل. ومع ذلك فهو لا ينفي تواضع أهل اللغة واصطلاحهم ألفاظا جديدة.

✓ عكف على الدراسة الصوتية للحرف واللفظ، لكون ذلك يفضي إلى استقامة البيان وحصول الإبلاغ. كما أشار إلى الأمراض النطقية التي تؤدي إلى اختلال التعبير.

✓ قسّم العلامة إلى أصناف تقسيما دقيقا في عرضه لأدوات البيان، يقول: «وجميع الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى النصبة».

✓ تناول: وظائف الكلام والدلالة السياقيّة. يقول الجاحظ في حاجة الإنسان إلى البيان: «لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجة أخيه وخليطه، ولا معنى شريكه والمعاون له على أموره، وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره». وحول الدلالة السياقيّة يقول: «ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، و يوازن بينها وبين أقدار المستعمين وحالاتهم، فيجعل لكلّ طبقة منهم كلاما يخصهم به حتى يقسم بالتساوي أقدار الكلام على أقدار المعاني ويقسم المعاني على أقدار المقامات التي هم عليها المستمعون وحالتهم».

ومن البلاغيّين الّذين أسهموا في هذا الميدان، نذكر أيضاً: **الشريف الجرجاني** (ت 816هـ)؛ الّذي وضع التعريف الجامع لعلم الدلالة وعلم الرموز، حيث يقول: «الدلالة هي كون الشيء بحاله يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول، وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص وإشارة النص واقتضاء النص»، فالدلالة عنده إلى قسمين: الدلالة اللفظية والدلالة غير اللفظية، ومن خلال طبيعة العلاقة بين الدال والمدلول، يحصي الجرجاني ثلاثة مستويات صورية تنتج عنها ثلاث دلالات: ـ دلالة العبارة ـ دلالة الإشارة ـ دلالة الاقتضاء.

والمقصود بدلالة العبارة: «المعنى الذي يتبادر إلى الذهن من صيغة النص، وهو الذي قصده الشارع من وضع النص، لأنّ المشرّع حين يضع النص يختار له من الألفاظ والعبارات ما يدل دلالة واضحة على غرضه ثمّ يصوغه بعد ذلك بحيث يتبادر المعنى المقصود من النص إلى ذهن المطلع بمجرد الاطلاع عليه».

حصة تطبيقية حول علاقة علم الدلالة بالمستوى التركيبي :

حلّل النّصوص التّالية لعبد القاهر الجرجاني؛

النص الأول:

«اعلم أن ههنا أصلا أنت ترى الناس فيه في صورة من يعرف من جانب وينكر من آخر، وهو أن الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها فوائد، وهذا علم شريف وأصل عظيم، والدليل على ذلك أنا إن زعمنا أن الألفاظ التي هي أوضاع اللغة، إنما وضعت ليعرف بها معانيها في أنفسها، لأدى ذلك إلى ما لا يشك عاقل في استحالته». **دلائل الإعجاز ص469**

النص الثاني:

«ليت شعري كيف يتصور وقوع قصد منك إلى معنى كلمة من دون أن تريد تعليقها بمعنى كلمة أخرى، ومعنى القصد إلى معاني الكلم أن تعلم السامع بها شيئا لا يعلمه؟ ومعلوم أنك أيها المتكلم لست تقصد أن تعلم السامع معاني الكلم المفردة التي تكلمه بها فلا تقول: خرج زيد لتعلمه معنى خرج في اللغة ومعنى زيد، كيف ومحال أن تكلمه بألفاظ لا يعرف هو معانيها كما تعرف، ولهذا لم يكن الفعل وحده دون الاسم، ولا الاسم وحده دون اسم آخر أو

فعل كلاما، أو كنت لو قلت: زيد ولم تأت بفعل ولا باسم ولا قدرت فيه ضمير الشأن، أو قلت زيد ولم تأت بفعل ولا اسم آخر ولم تضمره في نفسك، كان ذلك وصوتا تصوته سواء فاعرفه». **المرجع نفسه ص372**

النص الثالث:

واعلم أن مثل واضع الكلام مثل من يأخذ قطعا من الذهب أو الفضة فيذيبها بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة، وذلك أنك إذا قلت: ضرب زيد عمرا يوم الجمعة ضربا شديدا تأديبا له، فانك تحصل من مجموع هذه الكلم كلها على مفهوم هو معنى واحد لا عدة معان كما يتوهمه الناس، وذلك لأنك لم تأت بهذه الكلم لتفيده أنفس معانيها إنما جئت بها لتفيده وجوه التعلق التي بين الفعل الذي هو ضرب وبين ما عمل فيه، أو الأحكام التي هي محصول التعلق (...) وإذا كان ذلك كذلك بان منه وثبت أن المفهوم من مجموع الكلم معنى واحد لا عدة معان وهو إثباتك زيدا فاعلا ضربا لعمرو في وقت كذا ولغرض كذا». **المرجع نفسه ص372**

يقول الجاحظ: «النّصبة فهي الحال الناطقة بغير اللفظ، والمشيرة بغير اليد. وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض، وفي كل صامت وناطق، وجامد ونام، ومقيم وظاعن، وزائد وناقص. فالدلالة التي في الموات الجامد، كالدلالة التي في الحيوان الناطق. فالصامت ناطق من جهة الدلالة، والعجماء معربة من جهة البرهان. ولذلك قال الأول: "سل الأرض فقل: من شق أنهارك، وغرس أشجارك، وجنى ثمارك؟ فإن لم تجبك حوارا، أجابتك اعتبارا"».

الدّرس الرّابع: أنواع الدّلالة: المعجميّة، الصّوتيّة، الصّرفيّة

يتقاطع المستوى الدلالي مع جميع المستويات اللّغويّة الأخرى، لأن الدلالة حاضرة وناتجة عن تفاعل كل هذه المستويات، حتى المستوى الصوتي الذي يقال أنه مستوى الوحدات غير الدالة. وينبغي الإشارة هنا إلى أن هذا التقسيم هو تقسيم نظري افتراضي، فاللغة تعمل لأداء مهمتها وفق نظام اللغة الذي يندمج فيه كل هذه الأنظمة. فعلى مستوى العمل والأداء ليس هناك مستويات منفصلة، وإنما التقسيم إلى هذه المستويات لضرورة البحث والتحليل والدراسة اللغوية. فالمتكلم الذي يتكلم وفق نظام اللغة (اللسان) لا علاقة له بهذه المستويات التي لها أنظمة خاصة بها. وكنّا من قبل تناولنا الدّلالة الصّوتية والصّرفية.

المستوى النحوي / علم النحو والتراكيب	المستوى الدلالي / علم الدلالة
المستوى الصرفي / علم الصرف	
المستوى الصوتي / علم الأصوات	

1 ـ الدّلالة المعجميّة:

كل مفردة من مفردات اللغة العربية لها دلالة معجمية مستقلة عما توحيه أصواتها أو صيغتها من دلالات زائدة على تلك الأصلية أو المركزية أو القاعدية، و يطلق عليها الدلالة الاجتماعية. ولكن عندما تنتظم الكلمة ضمن الجملة تضاف إلى الكلمة كل الدلالات الأخرى ولا يتم الفهم إلا بالوقوف عليها جميعها. وأصل المعنى المعجمي هو ما تدل عليه الكلمة من المعنى الوضعي، وهذا ما أشار إليه الزمخشري عندما قال في كتابه المفصل: «الكلمة هي اللفظ الدال على معنى مفرد بالوضع». هذا المعنى المرتبط ـ مبدئيا ـ بالأصول الصوتية، ومنه تنشأ المعاني الأخرى.

ولعل ما يشير إلى علاقة الدلالة بالمعجم، أن هناك معاجم بنيت على أساس المعاني، وسميت معاجم المعاني، وقد كان هذا في التراث اللغوي العربي عندما وضع جامعوا اللغة الأُوَل ما يسمى بالرسائل اللغوية المتعلقة بأحد الموضوعات أو المعاني، مثل: كتاب الإبل، وكتاب الخيل، والأنواء وغير ذلك، وكما أن هناك الآن معاجم نبحث فيها اعتمادا على اللفظ، فإن هناك معاجم أخرى يبحث فيها اعتمادا على المعنى.

لا تخلو كلّ كلمة من دلالة معجمية أو اجتماعية تستقل عن الاخرى بما توصله أصوات هذه الكلمة، او صيغتها من دلالات زائدة على الدلالة الاساسية، فالدلالة المعجمية نراها واضحة عند رجوعنا الى معنى اللفظ اما الدلالة الاجتماعية فنلحظها حين تتركب الجملة من عدة كلمات تتخذ كل كلمة شكلاً معيناً، يؤدي ذلك الى التركيب النحوي ولكل كلمة وظيفة، وقد اهتم علماء اللغة في العصر الحديث بالدلالة الاجتماعية الي ولدت افقاً في اللغة واسست لعلم دلالة الالفاظ. ومثال ما تقدم كلمة يد فقد ورد معناها في لسان العرب بمعنى الكف، واليد في المعجم الوسيط من اعضاء الجسد وهي من المنكب الى اطراف الاصابع، فالمعنى الذي ذكرناه هو المعنى المعجمي، وهناك معنى اخر له دلالة اخرى عند اصحاب السياق، وهذا ما يتفق مع الدلالة الاجتماعية، ففي السياق نقول مثلاً زيد طويل اليد ونعني سمحاً، ولو قلت سقط في يده فالمعنى ندم.

وتسمى الدلالة الأصلية أو الأساسية، وهو جوهر الجذر اللغوي المشترك، يعرّفها تمام حسان بـ: «المعنى الصوري الذي يستدعيه اللفظ»، وقد أشار أولمان إلى هذا المعنى بالمعنى المركزي أو الأساس أو الرئيس، وعرّفه بأنه: «هو ذلك القدر الثابت من المعنى الذي يعرفه كل أفراد البيئة اللغوية أصحاب اللغة المعينة، ويتصل هذا المعنى بالوحدة المعجمية، أي حينما ترد في أقل سياق أي منفردة» ، فهي إذن دلالة الكلمة المفردة، أي خارج السياق اللغوي، أي المعنى الذي وضعت له أصلا، وكان ذلك يتم قديما بالرجوع كلام العرب، وحديثا نعتمد على المعاجم في تحديد الدلالة الأصلية للكلمة.

2 ـ الدّلالة الصّوتية:

اللّغة في الأصل أصوات، تمثّل أدلّة ورموز لمدلولات. وعليه كان الفونيم هو الوحدة الأساسيّة الممثّلة لهذا المستوى، ويعرّف بأنّه أصغر وحدة لغويّة (غير دالّة) مميّزة، تمكّن من التّفريق بين المعاني. والفونيمات صنفان: (قطعيّة وفوق قطعيّة).

ـ الفونيمات القطعيّة:

وتمثّلها الصّوامت والصّوائت (34 وحدة صوتيّة بالنّسبة للّغة العربيّة)، وهذه الأصوات في الواقع تدرس من جانبين. الجانب الأول: من حيث طبيعتها الفيزيائية–الفيزيولوجية، والجانب الثاني: من حيث وظيفتها (الدلالية) في بنية الكلمة أو الوحدة الدالة ولذلك صار

للأصوات علمان أحدهما: علم التصويت، والثاني: علم وظائف الأصوات، حيث تدرس وظائف هذه الأصوات من خلال التقابلات الثنائية التي تظهر القيمة الدلالية أو المعنوية للصوت بالاشتراك مع أصوات أخرى.

فالفرق الدلالي بين قال و مال، جاء من التقابل بين (ق) و (م). وتبدو علاقة الدلالة بالأصوات جلية هنا. وهناك كلمات يتغير أحد أصواتها ولا تتغير دلالتها مثل: الصّراط مقابل السّراط والزّراط. والسقر والزقر والصقر، وهذا ما يسمى كيفيات أو وجهات أداء.

ولابد من الإشارة أيضا إلى أن هناك من يرى أن الصوت (الحرف) الواحد منفردا له قيمة تعبيرية (دلالية) خاصة به. وقد ذهب عدد من الباحثين إلى هذا الرأي ومن هؤلاء ابن جني. الذي أورد في كتابه الخصائص عددا من العناوين والأمثلة التي تؤكد قناعته بهذا الرأي، فالصوت (الحرف) مفردا أو مركبا يحمل قيمة دلالية في ذاته، وهناك أمثلة كثيرة غايتها تأكيد القيمة التعبيرية (الدلالية) للحرف الواحد، مركبا في الكلمة، من ذلك: نضح ونضخ، قال تعالى: ﴿فيها عينان نضاختان﴾ وبما أن النضخ أقوى من النضح فقد جعلوا الحاء لرقتها للماء الضعيف، والخاء لغلظها لما هو أقوى منه، وكذلك: قضم وخضم، فالقضم للصلب اليابس والخضم للرطب. وكان أحمد بن فارس (توفي 395هـ) قد وضع معجما سماه: (مقاييس اللغة) وجه فيه كل جهده لاستنباط الصلات بين الألفاظ ودلالاتها.

ولم يكن علماء العرب و حدهم الذين يعتقدون بهذه القيمة التعبيرية للأصوات (الحروف)، فمن المحدثين الغربيين (جسبرسن) الذي يلخص آراء المحدثين في الصلة بين الألفاظ والدلالات فتعرض لمقال (همبلت) الذي يزعم أن اللغات بشكل عام تؤثر التعبير عن الأشياء بواسطة ألفاظ أثرها في الأذن يشبه أثر تلك الأشياء في الأذهان، وهذا ما يسمى بالمناسبة الطبيعية بين الألفاظ ومعانيها، وإن كان يرى أن هذه الصلة كانت في البداية، ولكنها تطورت حتى أصبحت العلامة غامضة.

ـ الفونيمات الفوق قطعيّة:

ومن مظاهر الدلالة الصوتية (النبر) فالنبر والاعتماد بقوة أو الضغط على مقطع ما أو كلمة ما يجعل لها معنى خاصا. وفي لغات أخرى يحدد موضع النبر نوع الكلمة، اسما أو فعلا. كما في مثل: كلمة [august] الانجليزيّة، فإنّها تعني (شهر أغسطس) إذا وقع فيها

النّبر على المقطع الأوّل/– au/ ، وتعني (جليل) إذا وقع فيها النّبر على المقطع الثّاني/gust–/.

ومن مظاهر الدلالة الصوتية كذلك، النغمة الكلامية ففي اللغة الصينية قد يكون للكلمة الواحدة عدة معان يفرق بينهما النغمة. ومثال ذلك في العربية قولنا: (هكذا) فقد تكون بمعنى الاستفهام إذا كان المتكلم يريد الاستفسار عن كيفية عمل شيء، وقد تكون للشجب والاستنكار، وقد تكون للإقرار والإخبار.

3 ـ الدّلالة الصّرفيّة:

تعرف في اللّسانيات الحديثة بدلالة المورفيم (Morphème) أو دال النسبة، والمورفيم هو وحدة صرفية، حر أو مقيد، الحر: هو جزء من الكلمة، مثل: كاتب (مورفيم حر)، يعني يدل على المفرد المذكر بصيغته دون زيادة لواحق، مثل: كاتبون (الواو والنون مورفيم مقيد)، ومن القيم الدلالية للمورفيم في العربية حروف المضارعة كدلالتها على الفاعل بالإضافة إلى دلالتها على الحال والاستقبال.

يستمد هذا النوع من الدلالة من الصيغ الصرفية للكلمة وابنتيها، فهي دلالة قوالب الألفاظ أو أوزانها، وكان ابن جني يطلق عليها اسم الدلالة الصناعية واعتبرها في المرتبة الثانية من حيث القوة بعد الدلالة اللفظية، يقول: «الدلالة الصناعية أقوى من المعنوية من قبل أنها وإن لم تكن لفظًا فإنها صورة يحملها اللفظ. ويخرج عليها ويستقر على المثال المعتزم بها. فلما كانت كذلك لحقت بحكمه وجرت مجرى اللفظ المنطوق به فدخلا بذلك في العلوم المشاهدة». فهي التي تعنى بصرف اللفظ، كقولنا مثلاً: رجع على وزن فعل، فالفعل تتغير دلالته لو كان على وزن افعل اي ارجع، وهذه الصيغة انتقلت من اللزوم الى التعدية، او قولنا واهب على وزن فاعل، فاذا بدلناها على وزن فعال، تغيرت الدلالة الى المبالغة.

ولكل فعل من الأفعال (الماضي، المضارع والأمر) وبصورها المختلفة (المجردة و المزيدة) هيئة صرفية تدل على المعنى أو على جزء من المعنى. مثل: فعل، يفعل، افعل، استفعل، تفاعل... وكذلك فاعل، مفعول، مفعل، مفعل، فعال، مفعال.

وقد تدل صيغة واحدة على عدة معان يحددها السياق، مثل صيغة اسم الفاعل والمفعول.

الدّرس الخامس: أنواع الدّلالة: النّحويّة، السّياقيّة، دلالة المقام

4 ـ الدّلالة النّحويّة:

يقول فايز الداية في تعريفها: «أي أن الكلمة تكتسب تحديدا وتبرز جزءًا من الحياة الاجتماعية والفكرية عندما تحلّ في موقع نحوي معين في التركيب الإسنادي وعلاقاته الوظيفية: الفاعلية والمفعولية، الحالية، النعتية، الإضافة، التمييز، الظرفية...» ، فهي الدلالة المستفادة من الوظيفة النحوية للكلمة من خلال رتبتها في هذا النظام، ومن خلال ترتيب الجملة ككل، «فترتيب الكلمات في الجملة العربية يتوقف عليه وضوح دلالتها بحيث لو اختل هذا الترتيب لم يفهم المراد، ومثال ذلك الشطر الثاني من بيت المتنبي:

أَنّـــى يَكـــونُ أَبـــا البَرِيَّـــةِ آدَمٌ	وَأَبـــوكَ وَالـــثَّقلانِ أَنـــتَ مُحَمَّـــدُ

والوضع الصحيح للشطر الثاني: وأبوك محمد وأنت والثقلان، وقد عدَّ هذا البيت من التعقيد اللفظي، وعلى هذا فالدلالة النحوية هي ما يقتضيه نظام الجملة في لغة من اللغات من ترتيب وهندسة بحيث لو اختل لأصبح من العسير أن يفهم المراد منها».

فالمعنى في نظام النّحو للّغة التّأليفيّة، له مرتبتين؛ معنى يكون حاصل بنى التّركيب (رتبة عناصره)، ومعنى العلامات (الإعرابيّة) الّتي تحمله عناصر التّركيب[1]. ويبيّن عبد الرحمان الحاج صالح، بأنّ سيبويه "إمام النّحّاة"، كان قد: «حلّل الكلام من حيث معانيه، كالخبر والأمر والنّهي والاستفهام وغير ذلك، وربط في كل ذلك بين الكلام كبنية والكلام كخطاب دون تخليط بينهما»[2]. ومنه نفهم بأنّ الدّلالة التّركيبيّة، قسمان:

ـ دلالات نحوية عامة؛ وهي المعاني العامة المستفادة من الجمل والأساليب (خبر، نفي، توكيد، استفهام، نهي، أمر).

ـ دلالات نحوية خاصة، كدلالة تركيب الجملة على معان نحوية (الفاعليّة، المفعوليّة، الابتداء، الإضافة، الحاليّة ...).

1 ـ عبد السّلام المسدّي، العربيّة والإعراب، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص.56.

2 ـ عبد الرحمان الحاج صالح، الخطاب والتّخاطب في نظريّة الوضع والاستعمال العربيّة ، موفم للنشر، المؤسّسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة، الرّغاية، الجزائر، 2012، ص.17.

5 ـ الدّلالة السّياقيّة والمقاميّة:

لتحديد المقصود بهذا النوع من الدلالة لا بدّ أولا من توضيح معنى السياق؛ وهو الغرض الذي سبق لأجله الكلام، ويطلق أيضا على الظروف والمواقف والأحداث التي ورد فيها النص أو نزل أو قيل بشأنها ، ويطلق البلاغيون على هذا النوع الحال أو المقام، كما يطلق أيضا على المحيط اللغوي الذي تقع فيه الوحدة اللغوية ، أي ما يسبقها من الكلام وما يلحقها، وهذا الأخير يسمى السياق اللغوي، والأول سياق الموقف.

فالتّواصل اللّغوي يتمّ عن طريق التّفاعل اللّغوي الّذي يقوم بين المتكلّم والسّامع، ويتمّ بتغيير المعلومات التّداولية قصد تحقيق مقاصد معيّنة، ومن هنا يبرز أهميّة الاهتمام بأركان التّخاطب، وهو الشّيء الّذي أدركه المفكّرون العرب القدماء الّذين لم يتّخذوا العبارة اللّغوية موضوع دراسة مجرّداً مقطوعاً عمّا يلابسه، بل اتّخذوها ركناً من أركان عمليّة تواصل تامّة تتضمّن **مقاماً ومتخاطبين** بالإضافة إلى **المقال** نفسه[1].

مخاطِب (متكلم) ← **طاب + مقام (سياق)** ← **مخاطَب (سامع)**

إنتاج **تأويل**

وينقسم سياق الاستعمال عموماً إلى قسمين هما[2]:

ـ سياق مقالي: يُقصد به مجموعة العبارات المنتجة في موقف تواصلي معيّن، أي التّفاعل اللّغوي الّذي يتمّ بين المتكلّم والمخاطَب بواسطة اللّغة. وقد يكون خطاباً منطوقاً أو مكتوباً حواراً أو محاضرة.

1 ـ ينظر: أحمد المتوكّل، المنحى الوظيفي في الفكر اللّغوي العربي الأصول والامتداد، دار الأمان، الرّباط، المغرب، ط1، 2006م، ص.207.

2 ـ ربط كثير من الباحثين العرب المحدثين بين مفهوم سياق الاستعمال ومفهوم المقال والمقام الّذين وردا في البلاغة العربيّة، ومنهم تمام حسّان وكمال بشر كما بينّا في الفصل الأوّل ص.49، والشّيء نفسه نجده عند المتوكّل الّذي يقسّم سياق الاستعمال إلى سياق مقالي: وهو الخطاب المنطوق أو المكتوب الّذي ينتجه المتكلّم في زمان ومكان معيّنين تجاه مخاطَب معيّن بالنّظر إلى وضع تخابري معيّن (المنحى الوظيفي في الفكر اللّغوي العربي ص.173). وسياق مقامي يشمل المعارف الآنيّة: وهي المدركات الحسّية (السّمعية والبصريّة وغيرها) المتواجدة في موقف التّواصل ذاته. والمعارف العامّة: وهي ما يشكّل مخزون المتخاطبين المعرفي الذّهني حين التّخاطب، ويشمل هذا المخزون كلّ ما يعرفه كلّ من المتكلّم والمخاطَب عن عالم الواقع وعن عوالم ممكنة أخرى (المنحى الوظيفي في الفكر اللّغوي العربي ص.23).

ـ سياق مقامي: وهو مجموعة المعارف والمدارك الّتي تتوافر في موقف تواصلي معيّن لدى كلّ من المتكلّم والمخاطَب، أي التّفاعل الحاصل بينهما بواسطة عوامل غير لفظية، وتكتسي جانباً مهماً في التّواصل اللّغوي المتمثّلة في حركات الجسد والتّعبيرات الوجهيّة والمظاهر الخارجية والإشارات الجسديّة المصاحبة للكلام أثناء التّواصل اللّغوي.

وقد صرّح فيرث بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة، فدراسة المعنى تتطلب تحليلا للسياقات اللغوية وغير اللغوية التي ترد فيها الكلمات «فالدلالة السياقية تشير إلى ذلك الترابط العضوي بين عناصر الجملة، وهو ما يشكل بنية اللغة، بل إنّ مفهوم الدلالة السياقية يتّسع ليشمل مجموع الجمل التي تكوِّن النص». فلا يكفي النظر إلى الدلالة المعجمية لتحدد المعنى لأن الكلمة في تعالقها مع باقي الوحدات اللغوية داخل التركيب تكتسب دلالة إضافية لا يمكن تحديدها إلا بإدراك العلاقة بينها وبين الوحدات المجاورة لها. واقترح (فيرث) التّصانيف الآتية **للسّياق**:

ـ السّمات المهمّة للمشاركين:

- الأشخاص والشّخصيات.
- الجهد اللّفظي للمشاركين.
- الجهد اللّالفظي للمشاركين.

ـ الأشياء ذات العلاقة.

ـ أثر الجهد اللّفظي[1].

في حين اقترح K.Ammer تقسيماً للسّياق ذا أربع شعب، يشمل:

ـ السّياق اللّغوي ـ السّياق العاطفي ـ سياق الموقف ـ السّياق الثّقافي[2].

وفي ذلك يقول ستيفن أولمان: «إنّ السياق ينبغي أن يشمل لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب، بل والقطعة كلها والكتاب كله، كما ينبغي أن يشمل بوجه من الوجوه كلّ ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات» ، فهو يشير إلى دلالة المقام، بالإضافة إلى السياق اللغوي.

1 ـ أف. آر. بالمر، علم الدّلالة، تر: مجيد عبد الحميد الماشطة، الجامعة المستنصريّة، بغداد، القاهرة، د.ط، 1985، ص.63.

2 ـ أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط5، 1998، ص.69.

إن التحليل الدلالي للسياق اللغوي يعطينا معنى المقال أو المعنى الوظيفي، أو المعنى الوظيفي، أو المعنى الظاهر أو الحرفي، وهذا لا يكفي لتحديد الدلالة، فلا بدّ من معرفة الأحداث والظروف الاجتماعية التي صاحبت أداء المقال، يقول تمام حسان: «حين نفرغ من تحليل الوظائف على مستوى الصوتيات والصرف والنحو، ومن تحليل العلاقات العرفية بين المفردات ومعانيها على مستوى المعجم، لا نستطيع أن ندَّعي أننا وصلنا إلى فهم المعنى الدلالي؛ لأنَّ الوصول إلى هذا المعنى يتطلّب فوق كل ما تقدَّم ملاحظة العنصر الاجتماعي الذي هو المقام».

نموذج تطبيقي: استخرج من النّص التّالي [البكاء بين يدي زرقاء اليمامة] "لأمل دنقل" أنواع الدّلالات المختلفة (المعجميّة، الصّوتيّة، الصّرفيّة، التّركيبيّة، السّياقيّة):

أيتها العرافة المقدَّسةْ ..
جئتُ إليك .. مثخناً بالطعنات والدماءْ
أزحف في معاطف القتلى، وفوق الجثث المكدّسة
منكسر السيف، مغبَّر الجبين والأعضاءْ.
أسأل يا زرقاءْ ..
عن فمكِ الياقوتِ عن، نبوءة العذراء
عن ساعدي المقطوع.. وهو ما يزال ممسكاً بالراية المنكَّسة
عن صور الأطفال في الخوذات.. ملقاةً على الصحراء
عن جاريَ الذي يَهُمُّ بارتشاف الماء..
فيثقب الرصاصُ رأسَه .. في لحظة الملامسة !
عن الفم المحشوِّ بالرمال والدماء !!
أسأل يا زرقاء ..
عن وقفتي العزلاء بين السيف .. والجدارْ !
عن صرخة المرأة بين السَّبي. والفرارْ ؟
كيف حملتُ العار..
ثم مشيتُ ؟ دون أن أقتل نفسي ؟ ! دون أن أنهار ؟ !
ودون أن يسقط لحمي .. من غبار التربة المدنسة ؟ !

الدّرس السّادس: التّغيّر الدّلالي ومظاهره

إن التطور ظاهرة اجتماعية تحدث في البنيات التركيبية الاجتماعية وفي علاقاتها ونظمها بما في ذلك اللغة، والتطور الدلالي كان يطلق على التغير اللغوي، وهو «ظاهرة شائعة في كلّ اللّغات، يلمسها كلّ دارس لمراحل نمو اللّغة وأطوارها التّاريخيّة»[1]. ونظرا لطبيعة هذه الظاهرة التي تمس المفردة، فعلى قدر ما ترقى باللفظ وتكتسب معاني جديدة تجعله أكثر اتساعا، وقدرة على التعبير بقدر ما تنزل بمستوى بعض الألفاظ، وتضيق من دلالتها تضييقا يُساهم معه عدم التداول في اضمحلال المفردة، فضَّل علماء اللغة والدلالة إطلاق مصطلح التغيير الدلالي بدل التطور الدلالي، فما هو تعريف هذه الظاهرة عند علماء الدلالة المحدثين وما هي أسبابها ومظاهرها؟

ـ التغير الدلالي:

يقول عبد السلام المسدي: «إن الحقيقة العلمية التي لا مراء فيها اليوم أنّ كلّ الألسنة البشرية ما دامت تتداول فإنّها تتطور، ومفهوم التطور هنا لا يحمل شحنة معيارية لا إيجابا ولا سلبا، وإنّما هو مأخوذ في معنى أنها تتغير إذ يطرأ على بعض أجزائها تبدل نسبي في الأصوات والتركيب من جهة ثم في الدلالة على وجه الخصوص، ولكن هذا التغير من البطء بحيث يخفى عن الحس الفردي المباشر».

فالتغير الدلالي ظاهرة طبيعية تلحق بالمفردة اللغوية في سياقها التداولي، حيث تنتقل اللفظة من مجال دلالي معين إلى مجال آخر تكتسب معه سمة هذا المجال، يقول بيير جيرو: «يتغير المعنى لأنّنا نعطي اسما عن عمد لمفهوم ما من أجل غايات إدراكية أو تعبير، إننا نسمي الأشياء، ويتغير المعنى، لأن إحدى المشتركات الثانوية (معنى سياقي، قيمة تعبيرية، قيمة اجتماعية) تنزلق تدريجيا إلى المعنى الأساسي، وتحل محله فيتطور المعنى».

هذا يعني أن التغير الدلالي يحدث من خلال انزلاق دلالات هامشية نحو الدلالة الأساسية فيختفي أثر الدلالة الأساسية، ويحل محلها دلالات سياقية تختلف باختلاف نوع السياق، فقد تكون اجتماعية، أو ثقافية، أو نفسية أو انفعالية أو عاطفة، ويعود فعل التغير وتنوعه إلى

1 ـ إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، ط5، 1984، ص.123.

تعدد العوامل واختلافها. فـ«لقب "قيصر" في اللّغة الألمانيّة "Kaiser" والمعروف في اللّغة الرّوسيّة في صورة "السّار" Tsar، إنّما يعود إلى اسم غنم اشتهر به أحد أباطرة الرّومان، وهو المسمّى "بيوليوس قيصر"، ثمّ تطوّرت دلالته وأصبحت عامّة تطلق على كلّ حاكم عظيم الشّأن يحكم إمبراطوريّة عظيمة. وقد اشتقّ اسم ذلك الإمبراطور الرّوماني من فعل لاتيني، ومعناه (يقطع أو يشقّ)، ذلك لأنّه ولد بعد عمليّة شقّ البطن فأطلق عليه هذا الاسم، ولا يزال الأطبّاء والجرّاحون يسمّونها بالعمليّة القيصريّة»[1].

ـ عوامل التغير الدلالي ومظاهره:

تتعدد أساليب التغير الدلالي وتتنوع مظاهره، ولا يمكن الفصل بين الاثنين، لأن العلاقة بينهما تشبه على حد تعبير إبراهيم أنيس بين المرض وأعراضه ومظاهره، وقد حصرها في خمس مظاهر: تخصيص الدلالة، تعميم الدلالة، انحطاط الدلالة، ورقي الدلالة، وتغيير مجال الاستعمال (المجاز).

ويمكن تصنيف هذه العوامل إلى ثلاثة عوامل رئيسية:

✓ العامل الاجتماعي والثقافي: قد تتسع الدلالة وقد تضيق بحسب الاستعمال، فاللغة «وجدت ليتداولها الناس، وليتبادلوا بها في حياتهم الاجتماعية كما يتبادلون بالعملة والسلع، غير أن التبادل بها يكون عن طريق الأذهان والنفوس تلك التي تتباين بين أفراد الجيل الواحد والبيئة الواحدة»، فألفاظ اللغة لا تبقى على حال واحدة، بل تتغير دلالتها بتغير نمط التعبير، والحاجة إلى الاستعمال وطبيعة العصر، والأمثلة في اللغة العربية كثيرة خاصة بعد مجيء الإسلام، فمنها ما عُمِّمَ معناها، أو خُصِّصَ، أو نقل إلى معنى آخر، ومن ذلك ألفاظ العبادات: كالصلاة، والزكاة، والحج... فقد خصص مدلول كل لفظة منها بعد أن كان عاما، ثم قد يعمّم مدلول اللفظة بعد أن كان خاصا، ككلمة "البأس"، فهي في أصل معناها تدلّ على الحرب، ثم اتّسع مدلولها ليشمل كلّ شدّة .

ومن العوامل الاجتماعية التي تؤدي إلى التغير الدلالي، الانتقال الحضاري، فكلمة القطار مثلاً، كانت في السابق عبارة عن مجموعة من الإبل في السفر، أمَّا في العصر الحديث أصبحت تطلق على الآلة المعروفة للسفر.

1 ـ إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، ط5، 1984، ص.124.

✓ العامل النفسي: قد يتمّ تغيير دلالات بعض الألفاظ المكروهة إلى دلالات مستحسنة، فكأنّ اللامساس يؤدي إلى التحايل في التعبير، أو ما يعرف بالتلطف، وهو في الحقيقة إبدال الكلمة الحادة بالكلمة الأقل حدّة، وهذا النزوع نحو التماس التلطف في استعمال الدلالات اللغوية هو السبب في تغير المعنى.

✓ العامل اللغوي: إنّ وجود فجوات معجمية يؤدي إلى الاقتراض اللغوي أو الاشتقاق، أو المجاز، كقولنا: أسنان المشط، أرجل الكرسي ... وقد يؤدي انتقال مدلول بعض الكلمات من معناها الحقيقي إلى المعنى المجازي إلى اضمحلال المعنى الحقيقي، ويصبح مجازه كالحقيقة، مثال ذلك كلمة (الوغى) مدلولها في الأصل هو اختلاط الأصوات في الحرب، ثم انتقل ليُعَبِّر به عن الحرب نفسها.

ـ خصائص التغير الدلالي:

ـ سير التغير الدلالي للكلمة يكون بطيئا، خاصة في اللغة العربية.

ـ التغير يحدث بطريقة غير مباشرة (تلقائية).

ـ وجود صلة بين الدلالة الجديدة للكلمة، ودلالتها الأصلية –قبل تعرضها للتغير–

ـ التقيد بالزمان والمكان في التطور ذاته لدلالة الكلمة.

ـ إن حدوث التغير في بيئة ما يؤثر على أفراد تلك البيئة.

ـ ارتباط التغير الدلالي باللهجات العربية، وتعتبر هذه أهم خاصية من خصائص التغير الدلالي.

ـ ارتباط التغير باللحن.

نموذج تطبيقي:

ـ ابحث عن معاني الكلمات الآتية، في معجم قديم (لسان العرب مثلاً)، ثمّ بيّن استعمالها حالياً محدّداً تحت أي مظهر وسبب للتّطوّر الدّلالي تقع: القطار، الثلّاجة، السخّان، المذياع، الذبذبات، التّسجيل، الجرائد، الصّحف، المجلّات، المحافظة، الأقسام، المرور.